الحج ..
ربط أمة الرسالة بمركز واحد

بقلم: د. محمد عمارة*

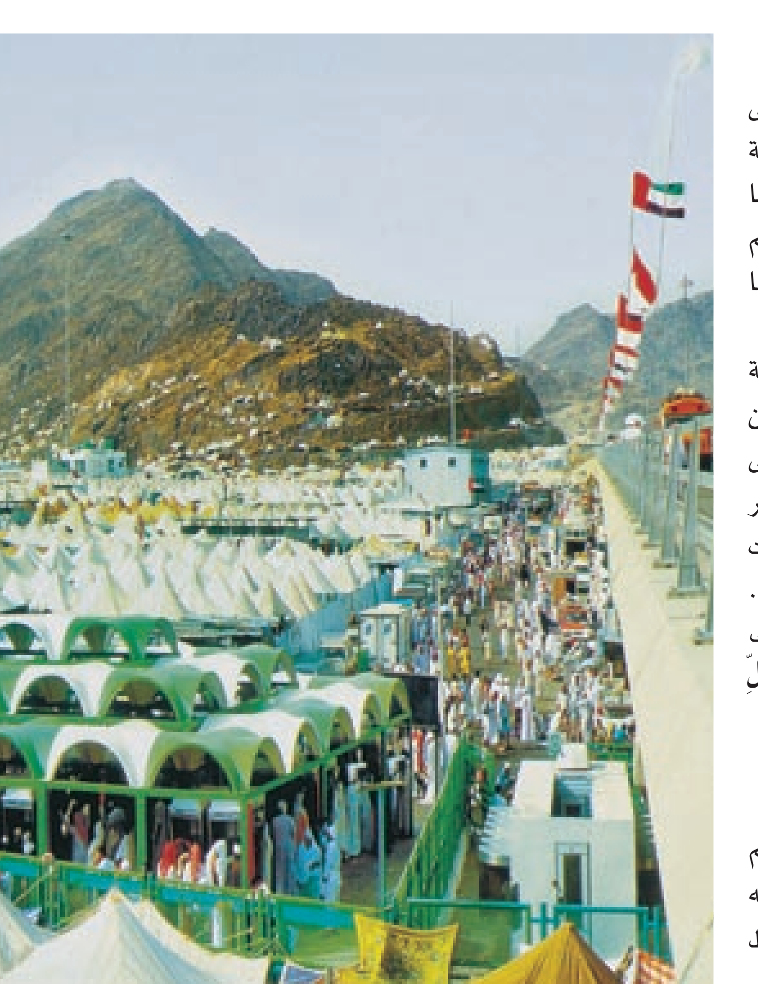
﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

صدق الله العظيم. [المائدة: ٤٨]

على الرغم من وحدة الدين الإلهي الواحد، منذ بدء الرسالات السماوية بآدم عليه السلام وحتى ختامها على يد محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، وهي الوحدة التي تتجلى فى «التوحيد» و«الطاعة» لله الواحد، والتي هي أساس الدين وجوهره «الحنيفية - المسلمة»، كما علمنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلا أن سنة التطور فى سير الاجتماع الإنساني قد اقتضت تعدد «الشرائع» لدى كل رسول من الرسل ولكل نبي من الأنبياء. فالوحدة في «الدين» قد زاملها وواكبها التعدد في «الشرائع»، ومن ثم اختلفت وتنوعت فيها «المناسك.. والشعائر .. والعبادات»..

* مفكر وكاتب إسلامي معروف





«فالصلاة» مثلاً وهي دعاء العبد إلى ربه و«الصوم» وهو القربة الذاتية الخاصة بين المخلوق والخالق عرفتها كثير من الشرائع الدينية، في أمم الرسالات المتعاقبة، ثم اختلفت صورها وأركانها من شريعة إلى أخرى.

و «الحج».. الذي يربط أمة الرسالة بمركز واحد، يديم لها روابط الدين ويوثق خيوطه، ويشدها بواسطته إلى ذكريات النور الذي انبثق في فجر رسالتها فهداها، وأخرجها من ظلمات جاهليتها إلى نور الحق وضوء العرفان.. هذا «الحج» تتعدد فيه المناسك والشعائر بتعدد أمم الرسالات ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ [الحج: ٣٤].

الحج الإسلامي

لكن المتأمل في «المركز» الذي يتم إليه حج المسلمين في الإسلام «بيت الله الحرام» - في مكة المكرمة يلحظ خصوصية إسلامية جديرة بالتأمل والتنويه. فالإسلام هو الشريعة الخاتمة لسلسلة رسالات الله السماوية إلى الإنسان الذي هو خليفته في الأرض. ومحمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، هو خاتم النبيين والمرسلين، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه. وبيت الله الحرام، بمكة، هو أول بيت لله قام على هذه الأرض التي نعيش عليها ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].. فكأنما شاءت حكمة الله، سبحانه وتعالى أن يكون حج أمة الرسالة الخاتمة إلى أول بيت وضع للناس في الأرض، وذلك حتى يرتبط الختام بالبدء، والقمة بالجذور، فيتجسد الرمز، رمز استيعاب الإسلام الذي جاء به محمد للدين الإلهي، على إطلاقه، وللتدين في عمومه. وترتفع الأعلام المؤذنة بأن تصديق الأمة المحمدية بنبيها، عليه الصلاة والسلام، إنما هو جزء من تصديقها بجميع الرسل والأنبياء، واحتضانها لهدي النبوة جميعه على امتداد موكب الأنبياء والمرسلين، منذ آدم إلى محمد، عليهم السلام؟!

والناظر المتأمل في شعائر الإسلام وعباداته يرى ذلك الخيط المتين والعروة الوثقى التي تربط بين كل «عبادة فردية» قد فرضت على ذات الفرد وعينه، وبين «مجموع الأمة».. أمة الرسالة والدين.

- ففي «الصوم» استشعار لحاجة المحتاج مما يستدعي التكافل والتضامن الذي يربط الفرد بالمجموع.
- وفي «الزكاة» تطهير للثروة الفردية، تنمو به هذه الثروة.. وتكافل مالي للأمة جمعاء.
- وفي «الصلاة» جماعة وجماعية تجعل الفرد لبنة في بناء أكبر، وقطرة في البحر البشري العظيم.
- وفي «الشهادة بالوحدانية» نزع لكل القيود والأغلال التي تقيد الإنسان بأخيه الإنسان، وهي تربط الإنسان الفرد بالمجموع من خلال إفراده العبودية لله وحده.

وهكذا، في كل شعائر الإسلام.. نلمح خيط الجماعة والجماعية يجمع الأفراد، ويحدد رباط الأمة المتكافلة تكافل أعضاء الجسد الواحد والبنيان المرصوص، الذي تسري فيه الحياة، كالصرح الواحد الذي يشد بعضه بعضاً.

وفي اعتقادي أن هذه المعاني في العبادات الإسلامية، وهذه الروابط الاجتماعية في شعائر الإسلام هي لب هذه العبادات وجوهر هذه الشعائر، وفيها تكتمل أهم «المنافع» التي تثمرها وتنميها وترعاها عبادات الناس لله، الذي هو

في كل شعائر الإسلام تلمح خيط الجماعة والجماعية

الناظر المتأمل في شعائر الإسلام وعباداته يرى ذلك الخيط المتين والعروة الوثقى التي تربط بين كل «عبادة فردية» قد فرضت على ذات الفرد وعينه، وبين «مجموع الأمة».. أمة الرسالة والدين.

عايض علي التركي



عايض علي التركي

اجتماع المسلمين في الحج في مكان واحد هو أكبر عون لهم لبلوغ أهدافهم وتوحيد كلمتهم

في كل شعائر الإسلام.. نلمح خيط الجماعة والجماعية الذي يجمع الأفراد، ويحدد رباط الأمة المتكافلة تكافل أعضاء الجسد الواحد والبنيان المرصوص، الذي تسري فيه الحياة، كالصرح الواحد الذي يشد بعضه بعضاً

غني عن هذه العبادات.

وفي ضوء هذه الحقيقة، وفي إطار هذا الفهم «لمنافع» العبادة للعابدين المسلمين، يجب أن ننظر إلى شعيرة الحج الإسلامي، ذلك أن اجتماع المسلمين للحج، والمؤتمر الأكبر لهذا الركن من أركان الإسلام هو الهدية الربانية، التي تجسد قمة «المنافع» المبتغاة للمسلمين من ورائه.. وهي «المنافع» التي ما زلنا متخلفين عن الاستفادة منها، حتى الآن؟!

إن القرآن الكريم يحدثنا عن حكمة الله من وراء فريضة الحج، فيقول: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٩].. فمع «ذكر الله» و «شعائر الحج» هناك «المنافع» المبتغاة، من وراء هذا الحج، لأمة الإسلام.

والأمر الذي لا شك فيه هو أن «المنفعة» إذا تم تحديد معناها بأنها هي كل ما ينفع جمهور الأمة، فإن السبل إلى تحقيقها، وتحديد أولوياتها هو مما يختلف باختلاف الأزمان والملابسات والتحديات التي تواجه أمة الإسلام.

لقد كانت مكة، في عصور قديمة، حاضرة تجارة شبه الجزيرة العربية، ويومها قال المفسرون للقرآن الكريم: إن التجارة هي (المنافع) التي يشهدها الحجيج إلى بيت الله الحرام.

لكن.. أتظل التجارة في موسم الحج - وهي في جوهرها اليوم «استهلاك» لسلع يصنعها غير المسلمين الذين يصنعون لهم حتى «سجادة الصلاة» و «بوصلة القبلة»؟! أتظل هذه «التجارة» هي منافع الحج، التي أرادها الله، في ظروف عالم اليوم بما جد فيه من جديد، وطرأ على واقعه من تحديات؟!

وفي ظروف الأقطار الإسلامية، التي لا يحتاج بؤسها إلى تفصيل في الحديث.. وأمام التحديات التي جعلت «أمة» الإسلام أمماً منقسمة مختلفة. وفي ظل ظروف عالمنا الإسلامي تبدو هذه المهمة العظمى العاجلة

للمسلمين هي إعادة هذه «الأقطار المجزأة» إلى معنى «الأمة الإسلامية الواحدة» بما لهذا المعنى من دلائل ومعطيات. ومن ثم فإن (منافع) الحج إلى بيت الله الحرام هي اليوم - في اعتقادنا - دعوة صفوة الأمة وراشديها - بواسطة مؤتمر الحج الأكبر - إلى كلمة سواء؟!

سوابق التاريخ الإسلامي

ثم .. ألا يحق لنا - أمام أي شك أو تشكيك في هذه الحقيقة أن نتساءل :

- ألم تكن تلك هي المنافع المبتغاة من الحج يوم أن انبثق نور الإسلام؟!
- ألم يكن الخليفة الراشد - في عهد الخلافة الراشدة - يجعل من موسم الحج مؤتمراً يلتقي فيه بالولاة والعمال والقضاة وجباة الزكاة والصدقات وقادة الجند والفقهاء وأهل الرأي من مختلف الأقاليم الإسلامية.. فتوضع صورة واقع الأمة أمام العقل القائد والمفكر؟! ألم يكن موسم الحج، على عهد الخلافة الراشدة، منتدى لقاء القواد والفقهاء يتبادلون فيه الفكر والرأي والخبرات، فتنمو في الأمة ملكة التعقل والاجتهاد؟.
- وفي عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ألم تكن حجته الوحيدة سنة ١٠ هـ هي حجة الوداع والبلاغ، وكانت بحق مؤتمراً جامعاً تم فيه إقرار «الحقوق المدنية» لأمة الإسلام؟.

إنني لا أبالغ إذا قلت : إن خطبة الرسول ، صلى الله عليه وسلم، في حجة الوداع، مثَّلت وثيقة «الحقوق المدنية» الإسلامية، لجدول أعمال مؤتمر الحج الأكبر للعالم الإسلامي، الذي يجب أن ينعقد لدراسة الواقع الذي تعيشه هذه الأمة، وتحديد السبل لتغييره، والوسائل اللازمة لمواجهة التحديات المحدقة بالإسلام والمسلمين.

لقد تأسست دولة الإسلام الأولى في السنة الأولى للهجرة. وفي جمادى الأولى من السنة الثانية بدأت المواجهة المسلحة بين دولة الإسلام ودولة الشرك في غزوة «العشيرة»، التي كانت المقدمة لمعركة «بدر الكبرى».. وفي السابع عشر من شعبان، من نفس السنة، تحولت القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، بما مثّله ذلك الحدث العظيم من إيذان بانتقال القيادة من العبرانيين إلى الأمة العربية المسلمة، التي تأهلت بالعدل الوسطية - لتكون لها الشهادة على غيرها من أمم الرسالات.

وفي العام التالي سنة ٣هـ للهجرة فرض الله الحج، مؤتمراً يشهد فيه المسلمون (منافع لهم).. وفي العام العاشر للهجرة، حج الرسول، صلى الله عليه وسلم، فعقد للمسلمين مؤتمرهم الذي أبلغهم فيه «حقوقهم المدنية» كأمة واحدة متميزة بين الأمم حيث قال، صلى الله عليه وسلم، بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

«أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في هذا الموقف أبداً .. أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وحرمة شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلَّغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن كل ربا موضوع، ولكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تُظلمون، قضى الله أنه لا ربا. وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دم أضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أيها الناس، إن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس، اسمعوا قولي.. واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخو المسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلموا أنفسكم.. إني قد بلَّغت، وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة نبيه» .. إلخ .. إلخ.

تلك كانت كلمات النبي، صلى الله عليه وسلم، في خطبة «حجة الوداع» التي ألقاها في مؤتمر الحج الأكبر، ليقرر فيها «الحقوق الإنسانية المدنية» التي شرعها الإسلام للإنسان. وتلك كانت حكمة الحج عندما فرضه الله ركناً من أركان الإسلام. وتلك كانت تطبيقات الرسول والخلفاء الراشدين لهذه «الحكمة»، وفهمهم (للمنافع) التي ابتغاها الله لعباده من وراء حجهم إلى بيته الحرام.

واليوم.. وفي ظروف عصرنا الحديث، وعلى ضوء الواقع البائس الذي تحياه أمتنا، رغم ما لديها من إمكانات مادية وما تملك من عقول مبدعة ومفكرة.. هل نطمح ونتطلع إلى جعل شعيرة الحج «مؤتمراً أكبر» لأمة الإسلام؟! ولقاءً جامعاً لعقل الأمة الراشد، يتأمل واقعها، ويرسم لجمهورها سبل الخلاص من المشكلات والتحديات التي تجابهها على أكثر من صعيد؟!

إننا نأمل.. ذلك ويحذونا الأمل بالمستقبل.. وما ذلك على الله بعزيز. ■

* صور الموضوع : أرامكو السعودية

مثَّلت خطبة الرسول ، صلى الله عليه وسلم، في حجة الوداع، وثيقة «الحقوق المدنية» الإسلامية، لجدول أعمال مؤتمر الحج الأكبر للعالم الإسلامي، الذي يجب أن ينعقد لدراسة الواقع الذي تعيشه هذه الأمة

مهنة الطوافة ... رحلة طويلة عبر تاريخ الحج

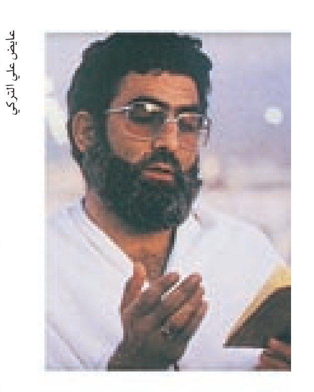
بقلم: خالد الطويلي

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]

مكة هي إحدى أعرق المدن تاريخاً في العالم، وإليها يفد الملايين في كل عام بقصد الحج أو العمرة، ويعتبرها أكثر من مليار ونصف المليار من المسلمين أقدس مكان على البسيطة. ومكة التي تقع في واد صغير محاط بجبال متوسطة الأحجام، تكونت منذ ما قبل التاريخ قرب معبد مكعَّب الشكل وحول بئر ماء يقال له زمزم. وقد أصبحت مكة فيما بعد أحد أهم نقاط التبادل التجاري على طريق القوافل في جزيرة العرب حيث مرت خلالها بضائع وعطور اليمن السعيد، بما في ذلك البضائع والمنسوجات الهندية والصينية، في طريقها إلى الحيرة والشام ومنها إلى أوروبا. وجعلت هذه الصفات من مكة نقطة صراع استراتيجي بين الرومان والفرس للسيطرة على خطوط التجارة التي كانت تمر بها.

ومن، الكعبة ذلك البناء العتيق الذي بناه سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وسط الوادي، استمدت مكة منزلتها لدى قدماء العرب. وحجّ إليها العرب، رغم وثنيتهم، وذبحوا القرابين عندها. وقد شكل الحج، والذي يلي، آنذاك، تجمع العرب السنوي في سوقهم الشهير بعكاظ، بالنسبة لقبيلة «قريش» وهم سكّان الحرم، أهمية سياسية واقتصادية وثقافية خاصّة. ولذلك فإن الحج كان بمثابة عصب الحياة للمجتمع المكّي والمؤثر الرئيس في النظام المالي ومحور النزاعات ومصدر الشرف والفخر بين العرب الذي يورثه الآباء لأبنائهم جيلاً بعد جيل، وما كانت الرفادة والسقاية والسدانة إلا في خدمة الحجيج وهو الشرف الذي تصارعت عليه قريش لأزمنة عديدة.

وقد كانت الكعبة مقصد الحاج ومركز كل هذا الاهتمام لما يزيد على خمسة عشر قرناً قبل الإسلام، وظلت كذلك بعد ظهور الإسلام الذي جعل الحج ركناً من أركانه، والطواف بها فريضة من فرائضه. قال الله





عايض علي التركي

مخيمات الحجيج بمنى

تعالى في كتابه: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

اشتقاق اسم المطوف

الطواف أو التطوف هو الدوران حول الكعبة ومنه اشتق اسم «المطوِّف». والمطوِّف أساساً هو الشخص الذي يطوف بالحجاج، ويقوم بمهمة تلقين الحاج أو المعتمر بالألفاظ والأدعية والسنن والفرائض ذات العلاقة بعملية الطواف كما يدل اسم المهنة، والتي أصبحت فيما بعد من أهم المهن التي امتهنها أهل مكة منذ توافد الحجاج ممن لهم معرفة بسيطة أو معدومة بشعائر الحج والعمرة والطواف بالبيت. وقد تطورت هذه المهنة نتيجة المتغيرات السياسية والاجتماعية التي مرت بها المنطقة خلال تاريخها الطويل لتشمل جوانب عدة من حياة الحاج أثناء فترة إقامته منذ وصوله إلى الأراضي المقدسة وحتى خروجه منها. وقد أنتجت هذه المهنة عدة روافد ذات صلة باحتياجات الحاج الكمالية وبخط سيره من موطنه إلى مكة والمدينة والعودة منهما. فازدهرت صناعة المواصلات في مصر مثلاً، نتيجة تدفق حجاجها، إضافة إلى مرور حجاج الشمال الإفريقي منها عابرين باتجاه الساحل الشرقي للبحر الأحمر. وتعد قافلة مصر واحدة من أربع قوافل رئيسة كانت تصل إلى مكة قبل الموسم، والقوافل الأخرى هي قافلة الشام وقافلة الهند وقافلة المغرب.

مهنة الوكلاء والزمازمة

نشأت في جدة بصفتها الميناء الرئيس لاستقبال الحجاج منذ بداية العقد الثاني للهجرة النبوية المباركة مهنة الوكلاء، وأصحاب هذه المهنة هم من يستقبل الحجاج نيابة عن المطوف المسؤول عنهم بمكة ويسكنهم بجدة حتى يحين موعد الرحيل إلى مكة. كذلك نشأت في مكة مهنة الزمازمة الذين كانوا يسقون الحجاج من ماء زمزم ويوصلونه إلى مقار سكنهم كل يوم.

أما في المدينة المنورة فنشأت مهنة المزورين أو الأدلاء، وهم الذين يصحبون الحاج الزائر ليؤدي زيارته عند قبر النبي، صلى الله عليه وسلم.

ويتفرغ كثير من سكان مكة أثناء الموسم للعمل في أحد جوانب خدمات الحج كعاملين عند المطوف الرئيس. ونظراً لصغر مكة وقلة مساحة العمران فيها سابقاً، فإن معظم ساكنيها كانوا يغادرون مساكنهم ليتمكنوا من تأجيرها لسكنى الحجاج. أما العارفون منهم بطرقها وشعابها، الخبيرون بأمور الحج والشعائر، والقادرون على توفير كل ما يحتاجه الحاج خلال فترة مكوثه بمكة والمشاعر المقدسة، فهم من يحمل تسمية المطوف وهم عائلات أو فئات من أهل مكة انتسبت إليها هذه المهنة إما وراثة أو هبة أميرية أو ممارسة حسب التنظيمات الإدارية المرعية في هذه الحقبة السياسية أو تلك. وهذه الطائفة من الناس معدودة ومعروفة في مكة كانت تتوارث هذا العمل أباً عن جد.

الطوافة ... بمعناها الشمولي

بدأت الطوافة بمعناها الشمولي الخدماتي قبل الإسلام بمئات السنين إلى أن وقعت في يدي قصي بن كلاب، جدّ النبي، صلى الله عليه وسلم. والمعنى الشمولي للطوافة آنذاك كان ينحصر في ما قدمته قريش وعرف حينها بالرفادة، والوفادة، والسدانة والسقاية. ويقول الأستاذ فؤاد عنقاوي معرفاً الطوافة بأنها في مهامها ومفهومها الحاضر هي تلك المهام مجتمعة التي كانت تقوم بها قريش. والرفادة هي استضافة الحجاج. والوفادة هي هيئة للعلاقة الدبلوماسية بين القبائل وكان ممثلها في زمن النبي، صلى الله عليه وسلم، هو عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وأما السدانة فكانت للبيت العتيق (الكعبة) والعناية به وبأصنامه حينها وقد أبقاها النبي ﷺ، في بني شيبة يوم فتحه مكة ولاتزال فيهم إلى اليوم لقول الرسول «لاينزعها منهم إلا ظالم». وأما السقاية فهي للحجيج من ماء زمزم، إلى أن اختفت زمزم فبدأت قريش تأتي بالماء من خارج مكة حتى أعاد عبدالمطلب، جدّ النبي، صلى الله عليه وسلم، حفرها والسقاية منها. وكان أولئك الذين أوكل بهم سقاية الحجيج من قريش، يخلطون زمزم باللبن وأحياناً بالعسل زيادة في كرم الضيافة. وكان تشبث قريش بهذا العمل المضني له مردود مادي يتمثل في التجارة التي يأتي بها الحج؛ ومعنوي


كريستيان سنوك هيرجرونج (١٨٨٥م)

حجاج من سومطرة مع اثنين من مندوبي مطوفهم


كريستيان سنوك هيرجرونج (١٨٨٥م)

مطوف لحجاج الملايو

كان نظام التقارير يعين مطوفاً محدداً لحجاج كل بلد إسلامي، وليس للحجاج من تلك الأقطار خيار أو رأي في ذلك المطوف، وقد أدى هذا النظام إلى تقسيم الحجاج إلى نوعين في تلك المرحلة، هما حجاج التقارير وحجاج المشاع

يتمثل في الشرف الذي يجلبه بين القبائل العربية كونهم سكان الحرم والذي يؤدي بدوره إلى المردود الثالث وهو السياسي ويتمثل في حصول قريش على الأمان في زمن كان غزو القبائل لبعضها البعض عرفاً شائعاً. وكان ذلك مما مكن لقريش من التوسع في تجارتها الشتوية والصيفية.

الطوافة في زمن الإسلام

يعتقد بعض المؤرخين بأن الطوافة بدأت في زمن الإسلام، بمعناها المطلق للدلالة والإرشاد الديني أثناء الحج، عندما نصَّب الرسول، صلى الله عليه وسلم، أبابكر الصديق، رضي الله عنه، أميراً على الحج. ومع انتشار الإسلام واتساع رقعة العالم الإسلامي جغرافياً وبالتالي زيادة أعداد الحجيج وتعدد لغاتهم وحاجاتهم، بدأ كل بلد إسلامي في تعيين أمير على حجه يأتي بالحجيج إلى مكة في كل موسم. وفي عصر المماليك، عين أمير مكة لكل من هذه البعثات مرافقاً محلياً من الشخصيات المرموقة في مكة لكي يرشدهم خلال الموسم، وكانت هذه هي المرة الأولى التي ظهرت فيها المعالم المهنية للطوافة وأخذت بعداً وظيفياً محدداً براتب محدد، وخرجت عن المفهوم الروحاني أو الإنساني.

ومرت مهنة الطوافة منذ عهد المماليك بالعديد من المراحل المتباينة التي تميزت بالحرية الكاملة في ممارستها أحياناً مما أفقدها التنظيم، وطغت عليها السيطرة الكاملة في فترات أخرى مما أفقدها روح المنافسة.

وقد تدهور الوضع الاجتماعي للعاملين في مهنة الطوافة خلال زمن الأشراف إلى مستوى الطبقات التي صنفت من الطبقات الدنيا في ذلك المجتمع وهي طبقة الحرفيين والمهنيين بعد أن كانت الطوافة محصورة في طبقة الوجهاء والعلماء. بعد ذلك بدأت في الظهور جماعة من المطوفين واتسعت قاعدتها حتى عرف معظم الحجاج من الأقطار الإسلامية المختلفة بوجود مطوفين ينتظرون قدومهم ويستعدون لخدمتهم واستضافتهم.

تطور دور المطوف

كان المطوفون غالباً من القضاة والفقهاء القادرين على الإرشاد السليم على كل المذاهب. ولكن دور المطوف تنامى خلال فترة حكم المماليك من مجرد المرشد الديني، إلى المضيف في السكن ثم المسؤول عن الإعاشة ثم الموفِّر لوسائل النقل وهكذا. ومع تنامي المردود المادي للطوافة وتداخل منافعها، تحولت بشكل رئيس عن الفقهاء والقضاة ووصلت إلى الوجهاء والأعيان بداية الألفية الهجرية الثانية. وقد نشأ بين هؤلاء المطوفين من الأعيان صراع طبيعي قاعدته مادية بحتة بحثاً عن تنمية حصص الربح. وتأسس على إثر هذا الصراع ما عرف بنظام التقارير. وهذا النظام يقرر أو يعيّن مطوفاً محدداً لحجاج كل بلد إسلامي محدد؛ وليس للحجاج من تلك الأقطار خيار أو رأي في ذلك المطوف. وأدى هذا النظام إلى تقسيم الحجاج إلى نوعين في تلك المرحلة هما حجاج التقارير كما سبقت الإشارة إليه؛ وحجاج المشاع، أو من لم يقرر لهم مطوف محدد وهؤلاء هم من يتجاذبهم المطوفون بعد وصولهم إلى الديار المقدسة.

وتم بعد ذلك إلغاء نظام التقارير، ثم إعادته وتعديله عدة مرات خلال فترة الحكم العثماني. كما أدى صراع الوجهاء على الربح وزيادته إلى تنظيم أجور المطوفين كتعرفة عام ١٣٢٦هـ. وحتى ذلك التاريخ كان يعتبر الأجر الذي يتقاضاه المطوف لقاء خدماته عبارة عن إكرامية يقدمها له الحاج تقديراً لضيافته كما يرى الحاج ويقدر. وكانت لدى المكيين قدرة في تمييز الحجاج الأغنياء أو الذين يسهل إقناعهم بدفع مبالغ أكبر وكان هؤلاء إما من المهراجات الهنود أو حجاج جاوه.

الانتساب لمهنة الطوافة

كانت هناك ثلاث فئات أساسية من المطوفين هم فئة المطوفين؛ فئة مطوفي الهنود؛ وفئة مطوفي الجاوه. ولكل واحدة من هذه الفئات هيكل للعمل يتكون من رئيس للطائفة تعينه الحكومة، ومعلم وهو المرشد للحجاج، والأمين وهو المعاون. أما رئاسة المطوِّفين فكانت تعتبر السلطة التنفيذية لكل القضايا التي تمس الطوافة والمطوِّفين.

ومع التطورات التي أسست المهنة ووضعت قواعدها وأنظمتها لزم وضع نظام معين ينظم عملية الانضمام لعضويتها. وكان التقليد المتبع طوال فترة الحكم العثماني للدخول في مهنة الطوافة هو تقليد وراثي، إلا أنه يجوز لأحد المطوفين القدامى أن يهب لقب مطوِّف لشخص خدم لديه فترة لا تقل عن خمسة عشر عاماً. ويتم منحه هذا الشرف من شيخ الطائفة ومن ثم يرفع أمره إلى أمير مكة للموافقة ولإدراج اسمه في زمرة المطوفين المسجلين. كما يحق لأمير مكة أن يعين المطوفين وإن كانوا من غير أبناء المهنة أو ممن لم يخدموا بها قط.

أجيال مهنة الطوافة

دخلت المهنة في طور جديد من الإجراءات التي حاولت تنظيمها ومعالجة عيوبها، ومن ذلك صدور نظام المطوفين عام ١٣٦٧هـ الذي ألغى التقارير التي صدرت بعد عام ١٣١٠هـ. وبعد ذلك بما يقرب من العشرين عاماً، أي في عام ١٣٨٥هـ، قرر مجلس الوزراء السعودي تغيير نظام الطوافة بالكامل وحل جميع التقارير. وأدى ذلك إلى حرية كاملة لدى الحاج في اختيار مطوفه كما أعطى المطوف حرية

اختيار الزمزمي والوكيل. كما ألغى القرار جميع هيئات المطوفين والزمازمة والأدلاء وتبنت مهامهم جميعاً وزارة الحج والأوقاف. ولكن سرعان ما أنتجت هذه الحرية نزاعات ومشكلات جديدة، فصدر نتيجة ذلك نظام التوزيع الذي قنن الحرية السابقة بشكل واضح. ولكن السلبيات لاحقت هذا النظام أيضاً مما دعا الحكومة إلى إصدار نظام المؤسسات الحالي والذي بدأ تطبيقه تجريبياً في عام ١٤٠٠هـ بالمؤسسة التجريبية لحجاج أوروبا وأمريكا ثم أضيف إليها حجاج تركيا أيضاً لتعزيز أعداد الحجيج المسجلين لديها.

ولحق هذه المؤسسة مؤسسات أخرى لحجاج إيران، وجنوب آسيا، وجنوب شرق آسيا، وإفريقيا (غير العربية) وحجاج الدول العربية.

وبذلك تكون المراحل التي مرت بأجيال مهنة الطوافة هي:

الجيل الأول: مرحلة الروحانية المطلقة؛ مرحلة التخصيص.

الجيل الثاني: مرحلة الانتشار (التقارير وحلها)؛ السماسرة وحرية السؤال ثم التوزيع.

الجيل الثالث: مرحلة المؤسسات.

وكان الهدف الرئيس من إنشاء هذه المؤسسات هو إيجاد أرضية عملية لرفع مستوى مهنة الطوافة وخدمات الحجاج في إطار جماعي منظم. وفي هذه المرحلة فإن مزاولة المهنة اقتصرت على أهل مكة المكرمة. وبذلك استكمل إنشاء نظام المؤسسات لحجاج الخارج وصدرت اللوائح الموحدة اللازمة لتنظيم أمور العمل كالأمور المالية والمكاتب الفرعية والإدارة الموحدة. وقد نجحت مؤسسات الطوافة منذ إنشائها في إيجاد وضع أكثر تنظيماً من النواحي الإدارية وذلك بسبب مقدرتها الأفضل للتعاطي مع الأعداد الحالية الهائلة من الحجاج. ويقدر أعضاء هذه المؤسسات حسب تقدير الأستاذ فؤاد عنقاوي، بحوالي اثني عشر ألف عضو. ٩٠٪ منهم توارث المهنة ونصفهم تقريباً من النساء. وبالإضافة للمؤسسات التجريبية الست التي أنشئت، تم كذلك إنشاء مكتب موحد للزمازمة وآخر للوكلاء.

وكما تطور الوضع بالنسبة لحجاج الخارج. فإن الطوافة استطاعت أن تمد قاعدة خدماتها لكي تضم أيضاً الحجاج من داخل الأراضي السعودية (حجاج الداخل) وقد يتعجب المرء حين يسمع أن بعضاً من أهل مكة يستعين اليوم بمطوف لأداء فريضة الحج.

ونشأت من أجل ذلك مؤسسات لحجاج الداخل تقوم بنفس الدور الذي تؤديه مؤسسات حجاج الخارج. ويوجد حالياً ما يفوق (٤٦٤) مؤسسة مرخص لها بالعمل في مجال الطوافة لحجاج الداخل مما يعكس التنافس الشديد داخل هذه السوق. ويوجد ما يقدر بـ ٦٧٪ من هذه المؤسسات في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، فيما يوجد ١٧٪ منها في المنطقة الوسطى، و١٣٪ في المنطقة الشرقية ويوزع الباقي بين المنطقتين الشمالية والجنوبية.

وتتفاوت الأجور التي يتقاضاها المطوفون لحجاج الداخل بناء على نوع الخدمات التي يقدمونها والمسكن وقربه أو بعده من المشاعر. فقد يصل السعر المتدني إلى ما يقارب ٨٠٠ ريال سعودي للشخص الواحد. ثم يبلغ السعر المتوسط ١٢٠٠ ريال تقريباً، فيما تصل بعض الأسعار المرتفعة إلى قرابة الـ ٣٠ ألف ريال سعودي للشخص الواحد الذي يتمتع لقاء هذا المبلغ بخدمات ممتازة، وغذاء وسكن بمستوى فنادق خمسة نجوم في مكة والمشاعر المقدسة حيث أن الغرف الفندقية لهذا العقد في منى تبدأ مساحتها من أربعة أمتار مربعة وبها حمام خاص. ويرجع السبب وراء ارتفاع الأسعار بشكل غير عادي أثناء الموسم، إلى الزيادة غير العادية في سعر الإيجار للمتر المربع في مباني منى


أرامكو السعودية

ماء زمزم، يوزع على الحجاج لوجه الله تعالى من حوض أنشأه جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله- بمكة في سنة ١٣٤٥هـ الموافق لسنة ١٩٢٦م

كما تطور الوضع بالنسبة لحجاج الخارج. فإن الطوافة استطاعت أن تمد قاعدة خدماتها لكي تضم أيضاً الحجاج من داخل الأراضي السعودية (حجاج الداخل) وقد يتعجب المرء حين يسمع أن بعضاً من أهل مكة يستعين اليوم بمطوف لأداء فريضة الحج



كريستيان سنوك هير جرونج (١٨٨٥م)

حاجان من البحرين ووسطهما شيخ من كابول

والذي يصل إلى ما يقارب ١٥٠٠ ريال لخمسة أيام. وعلى سبيل المثال يُؤجر مبنى مساحته الإجمالية ١٣٥٠ متراً مربعاً بمبلغ يصل إلى مليوني ريال سعودي في مدة خمسة أيام هي مجمل الأيام التي يستخدم فيها المبنى. وقد تم مؤخراً إزالة معظم هذه المباني القديمة في منى من قبل الدولة، وتعويض أصحابها عن قيمة البناء. أما الأرض، فهي أرض مشاع لعموم المسلمين وليست ملكاً لأحد.

ويرتفع السعر وينخفض أيضاً بناء على نقاط يجب أن يأخذها الحاج في حسبانه. فمن النقاط التي يمكن أن تساعد في زيادة الأسعار: النظافة، والنظام وقرب المسكن بمنى من مرمى الجمرات، وتوفر الرعاية الطبية ووجود مكيفات الهواء ودورات المياه والأماكن المخصصة للعائلات وتوفر الإرشاد الديني والجغرافي للمعالم والآثار.

يذكر شكيب أرسلان الذي حج عام ١٣٤٨هـ أن المطوف هو الذي يكفل جميع حوائج الحاج وأغراضه منذ أن يطأ رصيف جدة إلى أن يصعد سلم الباخرة قافلاً. ثم يستنتج سبب وجودهم قائلاً: "إن حجاج العرب لا يزيدون على خمس حجاج المسلمين، والأربعة الأخماس الباقية هي من أمم تجهل اللسان العربي فكيف يصنع حجاج هذه الأمم بدون المطوفين؟"

روايات الرَّحالة والمؤرخين

تمتلئ كتب التاريخ والرحلات بالقصص التي رواها كاتبوها أثناء رحلات حجهم في أزمنة وعصور مختلفة، بما في ذلك خبراتهم وعلاقاتهم بالمطوفين الذين رعوهم خلال الموسم. ومنهم المسلمون وغير المسلمين الذين تخفوا في زي إسلامي ليتمكنوا من دخول مكة والمشاعر وذلك لأغراض تجسسية أو ثقافية وأدبية معلوماتية. ومن الذين كتبوا عن رحلاتهم ابن جبير الأندلسي الذي قام برحلته عام ٥٧٩هـ أثناء سلطة الموحدين على المغرب والأندلس وسلطة صلاح الدين الأيوبي على المشرق، وقد سلك طريق البحر ونزل على ساحل بحر جدة ويقول في وصف دقيق لها أن بها آثاراً تدل على أنها كانت مدينة قديمة ذات شأن. وذكر ابن جبير بعضاً من المشكلات العصيبة التي كانت تواجه الحجيج في رحلاتهم من جدة إلى مكة وهي من الأمور التي ساعدت لاحقاً في استحداث مهنة الطوافة.

ويذكر الحسين بن محمد الوريثلاني، الذي دوَّن رحلته عن الحج في عام ١١٧٩هـ أنه قصد المطاف هو وجماعته لطواف القدوم ويقول في ذلك: «كان معي جماعة كثيرة تكاد لا تحصى أطوف بهم، علمتهم كيفية الطواف، ولما رأى أهل مكة فعلي ذلك تغيروا وقالوا: ألم تعلم أن أهل مكة لا ينتظرون إلاّ هذا الموسم؟ فقالوا: طف لنفسك واترك الناس. فقلت أنا أطوف بهم وأعلمهم وأنتم خذوا الأجرة منهم».

كما يشرح الحاج يوسف[1] (جوزيف بيتس) كيفية استيعاب مكة الصغيرة للأعداد الغفيرة من الحجاج الذين يأتونها في كل عام فيقول: «وقد يتساءل بعض من عرفوا مكة المكرمة، أو على الأقل سمعوا بها أو قرأوا عنها كيف يمكن لبلدة صغيرة فقيرة أن تستقبل هذه الأعداد الهائلة من الحجاج وتقدم لهم ولدوابهم المأوى والإعاشة؟ وإني أجيبك أن أهل مكة المكرمة يخلون أماكنهم للحجاج. فهذا الموسم بمثابة سوق لهم، فالمكي يؤجِّر الغرفة في هذا الموسم لفترة لا تزيد على ستة أو سبعة عشرة يوماً بمبلغ يزيد ثلاث مرات على إيجارها طوال العام».

وفي الفترة التي وصل فيها الحاج يوسف إلى مكة، لم يكن المطوفون قد بدأوا بعد في مرحلة توفير المؤن للحجاج ودوابهم بشكل كامل حيث يقول: «أما بالنسبة للمؤن، فالحجاج يجلبون معهم ما يكفي، إلا اللحوم التي تحتم عليهم الحصول عليها من مكة». ثم يذكر الحاج يوسف ما فعله معهم المطوف من لحظة وصولهم إلى مكة. قائلاً: «وبمجرد وصولنا إلى مكة سار بنا الدليل في شارع واسع يتوسط مكة ويؤدي إلى الحرم .. ثم وجهنا إلى حوض الماء للوضوء ومن ثم ذهب بنا للحرم. ثم قادنا الدليل مرة أخرى ورحنا نهرول وراءه تارة ونمشي تارة أخرى من أحد طرفي الطريق إلى طرفه الآخر» يقصد الصفا والمروة.

كما يذكر هذا المنظر بيرتون[2] في رحلته للحج عام ١٢٦٩م فيقول: «لقد كان الصحن المحيط بالكعبة مزدحماً بالرجال والنساء والأطفال في مجموعات، وكل مجموعة تتبع مطوفاً .. وحتى منتصف الليل جلسنا نثرثر مع المطوفين الذين أتوا لعرض خدماتهم». وكان مطوف بيرتون في رحلته غلام من سكان حارة الشامية بمكة اسمه محمد ويدعيه بيرتون في كتابه (الولد محمد) وقد استأجره من القاهرة ودخل به المسجد الحرام وقام بتأدية جميع المناسك خلفه ثم استضافه في حجرة بمنزل عائلته كغيره من الحجاج الكثيرين الذين نزلوا في نفس الدار. ويصف بيرتون المطوفين بأنهم يتقنون اللغات الأجنبية وذكر من بين اللغات التي كانوا يجيدونها إضافة إلى العربية، الفارسية، والتركية والهندوستانية. وفي نهاية رحلته، يذكر بيرتون أن باعة كثيرين تجمعوا في الطابق الأدنى الذي كان يسكن به. وعلى الأرجح فإن المطوف يأتي بهؤلاء الباعة في بيته ليبيعوا للحجاج دلالة الثقة بهم وغالباً لقاء نسبة متفق عليها بينهم أو أجر معلوم.

أما محمد بن عثمان السنوسي، الذي زار مكة سنة ١٢٩٩هـ فيقول: «وتلقانا المطوفون فأعلمتهم أن مرادي الدخول على طريق كُدا. وطلبت الاستقلال بالسير فيه مع المطوف حسن صباغ وهو غير طريق القوافل المعتاد». ثم يذكر أنه وجد أن أغلب سكان مكة ما بين مطوف وسقاء وبناء ونجار [٣].

أما شكيب أرسلان الذي حج عام ١٣٤٨هـ فيذكر أن المطوف هو الذي يكفل جميع حوائج الحاج وأغراضه منذ أن يطأ رصيف جدة إلى أن يصعد سلم الباخرة قافلاً. ثم يستنتج سبب وجودهم قائلاً: «إن حجاج العرب لا يزيدون على خمس حجاج المسلمين، والأربعة الأخماس الباقية هي من أمم تجهل اللسان العربي فكيف يصنع حجاج هذه الأمم بدون المطوفين؟» [٤]. ثم يؤكد رواية بيرتون عن معرفة أهل مكة بلغات عديدة قائلاً: «ومما يدهش العقل أن المطوفين والمزورين يعرفون جميع لغات العالم، وأكثرهم يعرفون اللغة التركية، فمطوفو العجم يعرفون اللغة الفارسية، ومطوفو الهند يجيدون الأوردية، ومطوفو الجاوه يعرفون لغة أهل الملايو..» كما يقول أرسلان: إن في الحجاز طائفتين لابد لقاصد الحجاز أن يكون له علاقة بهما ولا يكاد يستغني عنهما؛ هما المطوفون بمكة والمزورون بالمدينة.

رحلة إبراهيم باشا

وفي كتاب مرآة الحرمين، الذي يقص رحلة الحج التي قام بها اللواء إبراهيم رفعت باشا عام ١٣١٨هـ يذكر عادة أخرى للمطوفين وهي التسويق الخارجي فيقول: «ومن عادات المكيين أنهم يقصدون المدينة للزيارة وفي ذلك ينفقون ما جمعوه في موسم الحج، إلا قليلاً منهم، يستبقي بعض ما كسبه لينفقه في السفر إلى البلاد التي يفد منها الحجاج ليتعرف بمريدي الحج في العام المقبل وليتفق معهم على أن يكون مطوفهم» [٥].

وعلى أغلب الأحوال، فإن (الولد محمد) الذي صاحب بيرتون في رحلته كان من هؤلاء. وكذلك كان المؤرخ والأديب أحمد السباعي الذي جسد الطوافة من وجهة نظر المطوف، في قصة رحلته إلى البلدان الإسلامية بحثاً عن الحجاج وذلك في كتابه (مطوفون وحجاج) وبالتحديد في باب يوميات مطوف في بلد الحجاج الذي يرسم فيه، بشيء من التفصيل، صورة واضحة لرحلته ومعاناته في مختلف البلاد الإسلامية طلباً وتعقباً لقاصدي الحج وذلك في عام ١٣٧٣هـ. ولا شك أن السبب في تغير الأساليب والأنظمة للطوافة هو التغير المتواصل للظروف السياسية والاقتصادية في المنطقة تاريخياً والتزايد المستمر في أعداد الحجيج. ولكل زمان ظروفه، ففي الزمان الذي وجدت فيه خطورة على قوافل الحج من العراق والشام واليمن من اعتداءات الأعراب وقطاع الطرق، كانت هناك (أتوات) تدفع لشيوخ القبائل التي تمر خلال أراضيها هذه القوافل لقاء الحماية التي تؤمنها لها القبيلة. وعندما كانت الجمال وسيلة النقل، كانت هناك مهنة الجمالة [٦] وكانت هناك الشقادف [٧].

وقد عمل المطوفون على ترسيخ أقدامهم خلال كل تلك الظروف في مهنة الطوافة بالجهد والعرق والسهر وبذل الغالي والرخيص ولم يكن الطريق أمامهم مفروشاً بالورود والرياحين [٨].



كريستيان سنوك هيرجرونج (١٨٨٥م)

شيخ مطوف في حجاج الملايو

وقد أكسب الحج والطوافة المكيين عامة، والمطوفين خاصة، مقدرة كبيرة للتعامل مع الأجانب والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم والتحدث بلغاتهم نتيجة الاختلاط المستمر بهم. ويذكر العنقاوي كيف انتدبت الحكومة السعودية في بداية عهدها بعضاً من كبار المطوفين إلى بعض الأقطار الإسلامية لتشجيعهم على أداء فريضة الحج نظراً لما حل في البلاد من أمن وما زال عنها من خطر على الحجاج. وقد ذُكر المطوفون في أول مرسوم ملكي أصدره الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- بعد دخوله مكة وقد جاء فيه: «كل من كان من علماء أو موظفي الحرم الشريف أو المطوفين ذي راتب معين، فهو له على ما كان عليه من قبل [٩]» إلى نهاية المرسوم.

ذكر المطوفون في أول مرسوم ملكي أصدره جلالة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بعد دخوله مكة وقد جاء فيه: «كل من كان من علماء أو موظفي الحرم الشريف أو المطوفين ذي راتب معين، فهو له على ما كان عليه من قبل»

أما في نظام المؤسسات الحالي فقد وجد الكثير من أعضاء هذه المؤسسات وظائف يشتغلون بها طوال العام في شركات خاصة ومؤسسات حكومية صناعية وتجارية وأصبحوا يعملون في مؤسسات الحج فقط عند حلول الموسم لقاء أجر مقطوع تصرفه لهم المؤسسة عن عملهم في خدمة حجيج المؤسسة.

والطوافة مرتبطة وملازمة للحج وستبقى ما بقي. تتبدل وتتغير صفتها وأسلوبها ولكن مهامها باقية ما حج مسلم إلى بيت الله. ■

الهوامش والمراجع

(١) جوزيف بيتس شاب إنجليزي أسر في مياه البحر الأبيض المتوسط، واشتراه رجل جزائري فأجبره على الإسلام، ولم يسلم حقاً وحمله معه إلى الحج.
(٢) ضابط إيرلندي في الجيش البريطاني في الهند زار الحرمين متخفياً في زي درويش أفغاني.
(٣) المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية.
(٤) الارتسامات اللطاف، شكيب أرسلان.
(٥) مرآة الحرمين - إبراهيم رفعت باشا.
(٦) أصحاب الجمال التي تنقل الحجاج لقاء طعام أو كسوة.
(٧) الشقدف هو كرسي يربط على ظهر الجمل.
(٨) مكة .. الحج والطوافة، فؤاد عنقاوي.
(٩) المصدر السابق.

* صور الموضوع : أرامكو السعودية

الإسعافات الأولية في الحج

بقلم: د. نهلة محمد إسماعيل*

يتوافد الحجاج في هذه الأيام المباركة إلى بيت الله الحرام لأداء الفريضة الخامسة من فرائض الإسلام وهي الحج، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران: ٩٧]

ورغم حرص حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - على تذليل كل الصعاب التي تواجه حجاج بيت الله الحرام، في المجال الصحي وقيامها بتوفير الخدمات الطبية العديدة المتمثلة في المستشفيات الثابتة والمتنقلة المجهزة بأحدث التقنيات الطبية، إلا أنه ينبغي على كل حاج معرفة بعض الإسعافات الطبية الأولية حتى يستطيع مواجهة الحالات الطارئة التي يمكن أن يصاب بها - لا قدر الله - أو يصاب بها غيره من الحجاج.

ويتناول هذا المقال أهم الحالات المرضية الطارئة التي يمكن أن تواجه الحجاج:



تشهد المشاعر المقدسة أعداداً متزايدة من الحجاج مما يستلزم مضاعفة الخدمات الصحية والإسعافية المقدمة لهم

أولاً : ضربة الشمس

تعد ضربة الشمس السبب الأول والرئيس في وفاة عدد كبير من الحجاج، وتحدث نتيجة التعرض لحرارة الشمس لوقت طويل مع الرطوبة العالية. ومما يساعد على ذلك زيادة النشاط الجسدي الذي يؤديه الحاج والإجهاد الشديد مع عدم القدرة على التأقلم مع الطقس.

وأهم أعراض وعلامات ضربة الشمس: ارتفاع حاد في درجة الحرارة يبلغ حوالي ٤٢ درجة مئوية، وصداع شديد، وجفاف الجلد وسخونته، واحتقان الوجه مع اتساع حدقة العين. ونظراً لفقدان الملح مع العرق المتصبب من الجسم فقد تحدث للمصاب تشنجات عضلية وينتهي به الأمر إلى الإغماء.

ولخطورة ضربة الشمس يجب إسعاف المصاب بسرعة عن طريق اتباع الخطوات التالية:

١- على من يقوم بالإسعاف معرفة أن الهدف من الإسعاف هو خفض درجة حرارة المصاب حتى يتسنى نقله إلى أقرب مستشفى مؤهل لعلاج ضربات الشمس.

٢- منع تجمهر الحجاج حول المصاب، ووضع المصاب على ظهره في مكان جيد التهوية.

٣- إذا لم يفقد المصاب وعيه، يعطى كمية كبيرة من الماء وعصير الفاكهة والملح. أما إذا كان فاقداً للوعي، فيجب الامتناع عن إعطائه أي شيء حتى لا يكون ذلك سبباً في اختناقه.

٤- عدم إعطاء المصاب أي مهبطات للحرارة مثل الأسبرين أو النوفالجين .. إلخ، لأن ذلك قد يخفي التطور

* طبيبة من مصر

الطبيعي للمرض ويؤدي إلى عواقب وخيمة، فضلاً عن أن هذه الأدوية لا تصلح لمثل هذه الحالة نظراً لشلل مركز تنظيم درجة الحرارة بالمخ (الهيبوثالامس) نتيجة لارتفاع درجة الحرارة.

٥- نقل المصاب إلى أقرب مستشفى مؤهل لعلاج ضربات الشمس مع مراعاة استعمال وسائل التبريد أثناء نقله مثل: عمل كمادات باردة أو توجيه تيار هوائي بارد إلى جسم المصاب بواسطة مروحة مع تدليك أطراف وجسم المصاب باستمرار على فترات وذلك لتنشيط واستمرار الدورة الدموية.

٦- يتم وضع المصاب على جهاز يُطلق عليه (جهاز مكة المكرمة لتبريد الجسم) حيث يُعرّض جسم المصاب إلى رذاذ من الماء البارد (١٥ درجة مئوية) حتى تنخفض درجة الحررة إلى ٣٨ درجة مئوية. بعد ذلك يوضع المصاب تحت الملاحظة الطبية المباشرة، ويعطى بعض المحاليل مع متابعة التنفس ونشاط القلب والدورة الدموية.

ثانياً: المغص والإسهال

ينصح في حالة المغص البسيط إعطاء المصاب قرصاً من (البوسكوبان) أو (الإسبازموبار الجين). أما إذا كان المغص شديداً أو مصحوباً بالقيء أو بارتفاع درجة الحرارة فيجب نقل المصاب فوراً إلى أقرب مستشفى، لأن المغص قد يصاحبه التهاب الزائدة الدودية.

أما في حالة الإسهال، فينصح بإعطاء المصاب قرصاً من (الفلاجيل) ثلاث مرات يومياً مع قرص من (الأنتوسيد) ثلاث مرات يومياً مع استشارة الطبيب إذا ما استمر الإسهال لفترة تزيد عن يومين.



ينصح بأن يقوم الحاج باصطحاب حقيبة طبية للإسعافات الأولية

ثالثاً: الحروق

الحروق من المخاطر التي يتعرض لها الحجاج، وذلك بسبب عدم الالتزام بالتعليمات أو اتخاذ الحيطة المطلوبة. وفي حروق الدرجة الأولى (السطحية)، حيث يكون الجلد الخارجي محمراً ومتورماً قليلاً، يكتفى بغمر الجزء المصاب في ماء بارد حتى يتوقف إحساس المصاب بالألم، ثم يُضاف مرهم مقاوم للالتهابات الناتجة عن الحروق. وتشفى هذه الحروق عادة بعد ثلاثة أيام ولا تترك أثراً.

أما حروق الدرجة الثانية التي تتأثر فيها أماكن عميقة في الجلد مع ظهور الفقاقيع، وكذلك حروق الدرجة الثالثة أو العميقة، التي يتم فيها تدمير الجلد بأكمله وتتأثر الأنسجة تحته، فتحتاج إلى إسعاف فوري باتباع الخطوات التالية:

- قص الملابس خاصة إذا كانت النار ما تزال مشتعلة فيها أو كانت مبللة بماء ساخن أو بالكيماويات.
- غسل مكان الحرق بالماء البارد لمدة عشر دقائق.
- عدم الضغط على الفقاقيع الجلدية لتفريغها، مع عدم وضع مادة دهنية أو زيتية على مكان الحرق.
- يجب تغطية مكان الحرق بغيار معقم أو بفوطة نظيفة.
- كما ينبغي تغطية المصاب بملاءة نظيفة.
- إذا كانت الحروق شديدة يُمدّد المصاب على ظهره ويغطى جيداً وينقل إلى أقرب مستشفى.

رابعاً : الكسور

تنقسم الكسور إلى نوعين هما: الكسور البسيطة، حيث يكون العظم مكسوراً مع عدم وجود جرح على الجلد، والكسور المضاعفة، حيث يخترق العظم المكسور الجلد أو يكون مصحوباً بجرح على الجلد في مكان قريب من الكسر.

ويتم إسعاف حالة الكسر باتباع ما يلي:

- عدم الاقتراب من منطقة الكسر.



يحتاج الحجاج إلى كثير من أمور التوعية الإرشادية التي تجنبهم العديد من المخاطر الصحية إلى جانب تبصيرهم بالأمور المتعلقة بالسلامة

على كل حاج أخذ التطعيمات اللازمة للوقاية من الأمراض المعدية خاصة الكوليرا والحمى الشوكية والتيفود والحمى الصفراء

- لامانع من إعطاء المصاب بعض مسكنات الألم.
- عدم التدخل بوضع جبيرة أو أي شيء من هذا القبيل إلا بواسطة الطبيب.
- تغطية كل جرح مفتوح بغطاء معقم مثل غيار معقم أو منديل معقم.
- سرعة نقل المصاب إلى أقرب مستشفى.

خامساً: التسمم

في كل حالات التسمم يجب اتباع ما يلي:

- إذا كان المصاب ما يزال في وعيه فحاول معرفة سبب التسمم، ثم ساعد المصاب على التقيؤ بوضع إصبعين في حلقه أو إعطائه ملعقتين من الملح في كوب ماء دافئ.
- يجب الاحتفاظ بكل أثر للغذاء أو الشراب أو الدواء المجاور للمصاب، كما يجب الاحتفاظ بقيء المصاب وبرازه إذا حدث له إسهال ليتسنى معرفة نوع التسمم ومن ثم تقرير العلاج الحاسم له بواسطة الطبيب المعالج.
- يجب عدم ترك المصاب يتقيأ في الحالات الآتية: إذا كان المصاب فاقداً للوعي، أو إذا كان غير قادر على البلع، أو يعاني من تشنجات، أو إذا لاحظ المسعف وجود حروق أو التهابات بالشفتين وحول الفم مما يدل على التسمم بمادة كاوية.
- يجب الإسراع بنقل المصاب إلى أقرب مستشفى مع تدفئته دون عمل أي شيء خشية أن تكون المحاولة في إسعافه سبباً في وفاته.

سادساً: غيبوبة السكري

قد يصاب مريض السكر بنوعين من الغيبوبة: الأولى تحدث نتيجة زيادة نسبة السكر في الدم عن معدلها الطبيعي وتسمى (غيبوبة البول السكري). والثانية تحدث نتيجة نقص نسبة السكر في الدم عن معدلها الطبيعي وتسمى (صدمة الأنسولين).

وفي الحالتين، إذا كان المريض مصاباً بمرض السكري وبدأ يفقد وعيه فيجب إعطاؤه مادة سكرية على أي شكل كان مثل عصير البرتقال أو قطعة من الحلوى أو السكر. ومعظم مرضى السكري يحتفظون في جيوبهم بقطع من السكر لمثل هذه الطوارئ.

أما إذا كان المريض غائباً عن الوعي، فيجب الامتناع عن إعطائه أية سوائل أو أي شيء آخر خوفاً من اختناقه أو أن تتسرب السوائل إلى رئته فيصاب بالتهاب رئوي. ويجب عندئذ الإسراع في نقله إلى أقرب مستشفى لأخذ العلاج اللازم.



مرت أعمال الإسعاف في الحج بمراحل زمنية مختلفة، بينما قفزت في السنوات الأخيرة قفزة كبيرة إلى الأمام

سابعاً: النزيف

عند حدوث النزيف – أي خروج الدم خارج الأوعية الدموية – فيجب على المسعف اتباع ما يلي:

- وضع المصاب مستلقياً لكي تمنع الإغماء الذي يمكن أن يصيبه بسبب النزيف.
- رفع العضو المصاب إذا أمكن، فإن ذلك يقلل من النزيف.
- وضع ضمادة نظيفة على مكان الجرح والضغط بشدة على تلك الضمادة لمدة عشر دقائق متوالية. وهذا الوقت يعطي الدم فرصته للتجلط وإغلاق الأوعية الدموية النازفة.
- تنظيف الجرح وتطهيره جيداً فور توقف النزيف، ثم وضع غيار نظيف على الجرح وربطه جيداً.
- إذا استمر النزيف وبلل الغيار، فلا ينزع الغيار، بل يوضع غيار أخر ويربط الغياران.
- نقل المصاب فوراً إلى المستشفى.
- بالنسبة لنزيف الأنف (الرعاف): يجلس المصاب مع توجيه رأسه للأمام ووضع منشفة تحت أنفه، ثم الضغط على الجزء الطري من الأنف أسفل العظام مباشرة بين السبابة والإبهام لمدة عشر دقائق، ثم توضع كمادات باردة على الجبهة والأنف. وإذا لم يتوقف النزيف توضع نقاط قابضة لأوعية الأنف مثل: «أوترفين» أو «الأدرينالين» على قطعة من القطن ومن ثم في أنف المريض، مع منع المصاب من التمخط لعدة ساعات بعد توقف النزيف، والإسراع بعرضه على الطبيب.

وصايا عامة

- يجب على كل حاج المبادرة بتوقيع الكشف الطبي العام وإجراء الفحوص اللازمة لدى طبيب ثقة قبل سفره إلى الحج.
- على كل حاج أخذ التطعيمات اللازمة للوقاية من الأمراض المعدية وخاصة: الكوليرا والحمى الشوكية والتيفود والحمى الصفراء.
- ضرورة معرفة فصيلة دم الحاج وتسجيلها في جواز سفره لأنها مهمة جداً في حالة الطوارئ.
- ينصح بحمل أدوات النظافة الشخصية مثل أدوات الحلاقة والمناديل وفرش الأسنان والمناشف. وغير ذلك وتفضل أن تكون من الأصناف التي تستخدم لمرة واحدة فقط.

حقيبة الحاج الطبية

يُنصح بأن يقوم الحاج بتجهيز حقيبة طبية تحتوي على بعض الأدوية التي يمكن أن يحتاج إليها في الإسعافات الأولية وعلاج بعض الحالات المرضية حتى يتسنى له الوصول إلى المراكز الطبية والمستشفيات السعودية الموجودة في كل مكان.. وأهم هذه الأدوية:

أقراص للصداع مثل: الأسبرين، ومضاد حيوي مثل: الأمبيسلين ٢٥٠مج (كبسولة كل ٦ ساعات)، وأقراص ضد الإسهال والطفيليات مثل الفلاجيل مع الأنتوسيد (قرص ٣ مرات يومياً)، ومرهم حريق ومرهم ضد الحساسية مثل اللوكوكورتين، وقطرة للمضاد الحيوي لالتهابات العين مثل المفينيكول، وقطرة ضد حساسية العين مثل البريزولين، ومرهم عين مثل التيراميسين. أيضاً يفضل وجود جهاز لقياس الحرارة «تيرموميتر» وشاش معقم وقطن وبعض اللزقات ومطهر ونظارة شمسية داكنة اللون خاصة لمن يعانون من الحساسية من الشمس. ■

ضرورة معرفة فصيلة دم الحاج وتسجيلها في جواز سفره لأنها مهمة جداً في حالة الطوارئ



تقديم الخدمات الطبية والعلاجية لملايين الحجاج يستلزم جهوداً بشرية ومالية كثيرة

أهم المراجع:

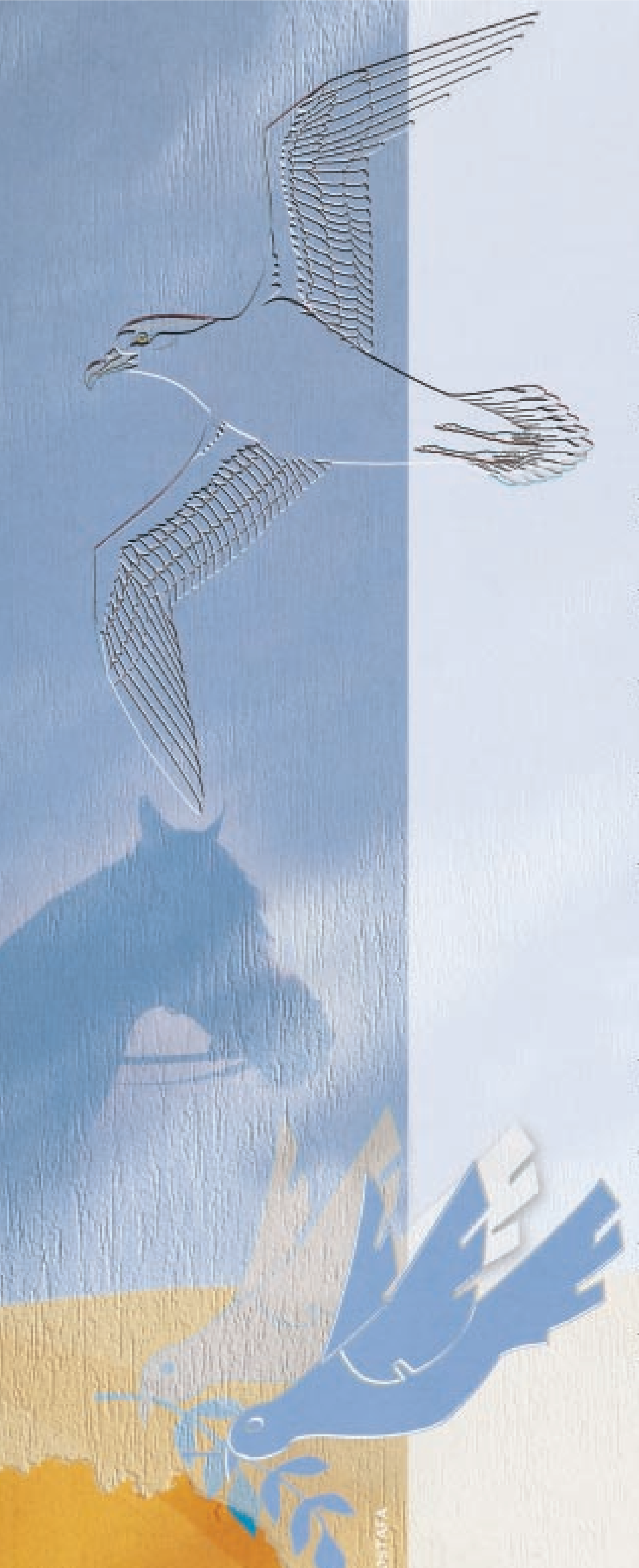
١- مستشارك الطبي في الحج والعمرة د. عز الدين محمد نجيب / مكتبة ابن سينا / القاهرة ١٩٨٩م.

٢- صحتك أثناء الحج/ د. محمد عبدالعال / كتاب اليوم الطبي / القاهرة ١٩٨٥م.

٣- أول دليل صحي للحجاج / د. سوسن الغزالي / كتاب اليوم الطبي / القاهرة ١٩٩٩م.

4- Current Medical Diagnosis & Treatment.

* صور الموضوع : أرامكو السعودية



الشهيد

شعر : فواز حجو

دَعـاهُ الخلـودُ، فلبَى النـداءْ
وطَـارَ علـى بيْرقٍ من ضيـاءْ
ورَفـرفَ في صـدرهِ خـافـقٌ
يـذوبُ حَنيناً ليـوم اللقـاءْ
ويعلُـو بنفسٍ تُحِبُّ السُمُـوَّ
وأجْنحـةٍ تعْشـقُ الارتـقـاءْ
تخَـفَّـفَ مِـنْ ثقْـل جُثمانـه
وَحلَّـق رُوحـاً تـرُودُ الفضـاءْ
ووَدّع أرْضــاً سقتْـهُ الإبـاءَ
وبـادلَ فاهـا كؤُوسَ الوفـاءْ
وما عادَ في الأرض يُغريهِ شَيءٌ
ومـا عـادَ يؤْثـرُ فيـهـا البَقاءْ
فــلا تَعْذُلـوهُ إذا عَـافـهـا
فـإنَ لَهُ موعِداً فـي السمـاءْ

❖❖❖❖❖❖❖

رياضُ الشهـادة أومَـتْ لـهْ
فَخَـفَ إليهـا، وكـاَ اللّقــاءْ
وتُـوِّجَ في مهرجـانِ الخلـودِ
شهيـداً، فأعُطِـيَ خَيرَ العطاءْ
وكان المقـامُ بأعْلـى الجنـانِ
وَما مـاتَ من نالَ هذا العطاءْ
فـلا تَحسـبنَّ الشهيـدَ يمـوتُ
فـإنَّ الشهيـدَ تَحَدّى الفنـاءْ



«لا تزال مملكتنا الحبيبة تعيش فرحة ذكرى مرور قرن من الزمان على إعادة توحيد كيانها الشامخ ولاتزال الرياض تذكر بافتخار وغبطة يوم أن وطأت قدما إبنها البار عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ترابها الزكي لتشرق عليها شمس غير التي غربت عليها بالأمس.. وبينما لا تزال الرياض في نشوة احتفالاتها بمئويتها إذا بها تنتخب عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م لتتواصل أفراحها وتتوالى مسيرتها للعطاء وكلها استشعار بمستقبل زاهر على طريق التنمية والرخاء والاستقرار تحت ظلال راية التوحيد التي نستمد منها طاقاتنا على العمل والبذل والإبداع ونحدد بها وجهة حركتنا في هذه الحياة».

صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز



«نبحث عنك يا عبدالعزيز» لوحة إعلامية من إبداع سارة ماجد أعدت تكريماً لمؤسس المملكة الملك عبدالعزيز، رحمه الله، مع التعبير عن الشكل الإبداعي الناتج عن التحول الثقافي السريع

نظراً لأن التنمية بمفهومها الشامل تحمل بُعداً ثقافياً مهماً توليه جميع الدول المعاصرة جل اهتمامها، فقد قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليسكو) بإطلاق برنامج العواصم الثقافية العربية منذ عام ١٩٩٦م، وذلك بإعلان القاهرة عاصمة للثقافة العربية في العام ذاته. ثم تلتها تونس عام ١٩٩٧م، والشارقة عام ١٩٩٨م، وبيروت عام ١٩٩٩م. وقد حظيت الرياض باللقب في نهاية الألفية الميلادية الثانية، ومن جانبها قامت منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والعلوم (اليونسكو) بالإقرار بهذا الاختيار. وقد اضطلعت الرئاسة العامة لرعاية الشباب في المملكة، بمهام التنسيق لجميع الأنشطة والفعاليات الخاصة بالاحتفال بالرياض عاصمة للثقافة عام ٢٠٠٠م. وشهدت المملكة العربية السعودية، في إطار احتفالاتها المتواصلة باختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، العديد من الأنشطة والفعاليات الثقافية والتربوية خلال العام المنصرم شملت المؤتمرات والمنتديات والورش والمعارض الفنية والأسابيع المخصصة للأنشطة الثقافية والفنية والتعليمية المختلفة، ولعل من أهمها مؤتمر وزراء الشؤون الثقافية في الوطن العربي في دورته الثانية عشرة، الذي عُقد في شهر شعبان من عام ١٤٢١هـ بمدينة الرياض، تحت شعار «التصنيع الثقافي وإنشاء سوق ثقافية عربية مشتركة».

كما احتضنت الرياض اجتماعاً لوزراء التربية والتعليم والمعارف لدول الخليج العربية في الرياض لمناقشة واعتماد مشروع خطة لتطوير مناهج التعليم العام وتحديد متطلبات تنفيذها.

وبمناسبة انتهاء عام ٢٠٠٠م يسر «القافلة» أن تنشر ملفاً خاصاً مختصراً عن بعض أوجه التطور الحضاري والثقافي الذي شهدته مدينة «الرياض» والذي تعكس من خلاله امتداد التطور الشامل الذي حققته المملكة على جميع الأصعدة عموماً والثقافية منها على وجه الخصوص.

الرياض تستلهم التراث في سعيها نحو الحداثة:

الازدهار المعاصر للثقافة السعودية

إعداد وتصوير : بيتر هاريقان * - ترجمة : جلال طه الخطيب

إن عبق التاريخ يجتذب بسحره الكثيرين من كل حدب وصوب، ولكن قليلين فقط هم الذين يولون هذا الموضوع ما يستحق من عناية واهتمام. ويعتبر سعد الشبانات الموظف في الخطوط الجوية العربية السعودية، والمؤرخ السعودي القادم من منطقة الصُمَّان الواقعة شمال شرقي مدينة الرياض، من بين هؤلاء القلائل الذين يبذلون جهداً كبيراً لصقل مواهبهم في هذا المجال عبر التثقيف الذاتي.

فهو عندما يفرغ من متابعة رحلات الخطوط الجوية العربية السعودية في مطار الملك خالد الدولي بالرياض يهرع في معظم الأحيان إلى منزله ليعكف على كتابه التاريخي «الصمان»، الذي يضم بين دفتيه عدة مجلدات، ويراجع أو يدون المزيد من الأحداث التاريخية أو المعلومات الجغرافية التي تتعلق بتلك المنطقة.

ويقول سعد الشبانات : «زرت العديد من مواقع تلك المنطقة وخيمت فيها منذ أن كنت صبياً، وقد قضيت الأيام الأولى من حياتي أعمل راعياً للأغنام في تلك المنطقة التي تتمتع بأهمية كبرى كواحدة من المناطق التاريخية في نجد بالمنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية.» وتشتهر الصمان بكونها من أهم مناطق الرعي التاريخية في البلاد. كما أنها تشتهر أيضاً بالكهوف الكبيرة التي تنتشر في ربوعها.

ويضيف الشبانات قائلاً: «لقد استمعت إلى الكثير من القصص والحكايات الشعبية والقصائد التي كتبت عن منطقة الصمان، وأعرف جيداً أنه بوفاة أي فرد من الشيوخ في المنطقة يختفي جزء من تراثها، وذلك بما يشبه اندثار مكتبة ثمينة تحوي كتباً تراثية بفعل حريق أو زلزال، ولذلك فقد قررت أن أقوم بتدوين كل ما يتبادر إلى سمعي من ذلك التراث». وعلى الرغم من أن الشبانات لم يكمل سوى تعليمه الثانوي، فإن ذلك لم يثبط من عزيمته، وبعد أن قضى نحو خمسة عشر عاماً من عمره في البحث والاستقصاء، يقول بأن «التاريخ هواية تستغرقني». وهو غالباً ما ينشد التجمعات والمخيمات غير المعروفة كثيراً حيث يمكنه أن يستمع إلى قصص البدو وحكاياتهم وأشعارهم. وفي الطريق إلى تلك الأماكن يلاحظ وجود آثار لمناطق رعي وطرق صحراوية سريعة وأطلال متناثرة هنا وهناك.



سعد الشبانات، الموظف في الخطوط الجوية العربية السعودية، والمؤرخ السعودي القادم من منطقة الصمَّان الواقعة شمال شرقي مدينة الرياض، يعد نموذجاً للموجة المتنامية من الإبداع الثقافي الذي تشهده مدينة الرياض

وقد أعرب الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- الذي يلقب «بعلاَّمة الجزيرة» والفائز بجائزة الملك فيصل للأدب العربي والخبير بالثقافات العربية في الجزيرة، عن تأثره وإعجابه بالموضوعات التي يتناولها الشبانات والطرق التي يتبعها لجمع المعلومات. وقد كتب الشيخ الجاسر مقدمة الكتاب، الذي ألفه الشبانات ليمنح بذلك هذا المؤرخ غير المعروف اعترافاً وتقديراً أكاديمياً قيماً.

يمثل سعد الشبانات جزءاً من حركة الإبداع الثقافي التي تشهدها مدينة الرياض بصورة متنامية في الوقت الحاضر. وعلى سبيل المثال، فإن كتابه يعد واحداً من مجموعة تقدر بنحو ٢٠٠٠ كتاب تم نشرها في العاصمة الرياض خلال عام ٢٠٠٠م. مما يعكس الطفرة والازدهار الذي تشهده حركة النشر في المدينة، ويجعل منها أكبر سوق للطباعة والنشر في منطقة الشرق الأوسط في الوقت الراهن.

ولمساندة هذا الازدهار الثقافي، قامت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) باختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠. وقد أعد شعار معبر لمدينة «الرياض عام ٢٠٠٠» بهذه المناسبة. وفي حين كان الشعار الذي وقع عليه الاختيار للتعبير عن احتفالات المملكة بمئويتها، يتكون من قلعة الرياض ونخلة وسيف، فإن شعار «الرياض عام ٢٠٠٠» قد أعد بحيث يحل القلم محل جذع النخلة.

ويقول هشام نشاب، الخبير في الدراسات الإسلامية ومندوب لبنان في المجلس التنفيذي لليونسكو: «ينبغي لنا ألا نبخس

* موظف في الخطوط الجوية العربية السعودية، ومتعاون في تحرير ملحق «الديوانية» بجريدة سعودي جازيت باللغة الإنجليزية

مكاتب جديدة ومئذنة حديثة ترتفع في مدينة الرياض



«الاستغلال الأمثل للمساحات يعتمد في الوقت الحالي على المضمون الثقافي، وهو ما يتيح للرياض فرصة جيدة لعرض ما تتمتع به من حضارة وثقافة وتراث»

المهندس/ عبداللطيف آل الشيخ

الرياض ونجد حقهما من التقدير والأهمية في التاريخ العربي الحديث، فالرياض كانت دائماً صعبة المنال، ولم تسقط أبداً تحت نير الحكم العثماني. كما أن نجد ظلت تنعم بالحرية لتمارس دورها في الفكر المستقل، وتنمو وتزدهر لتصبح مركزاً فكرياً وثقافياً. ومن جهة أخرى، فإن حركة محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية (في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي) تمثل علامة بارزة في تاريخ الفكر الإسلامي. وانطلاقاً من هذه الحركة نبعت تغيرات ثقافية مهمة في المنطقة».

ويضيف قائلاً «نحن العرب نميل ميلاً غريباً نحو الصحراء. ونرى فيها القلب النابض للعالم العربي، ونقطة انطلاق الحركات الثقافية الجديدة. وقد لجأت جميع المجتمعات الحضرية إلى الاستعانة بالتراث الصحراوي لإنعاش الحركة الثقافية لديها».

وتجدر الإشارة إلى أن التأثير الحقيقي لشعار «عاصمة الثقافة» الذي يمنح في كل عام لمدينة مختلفة منذ عام ١٩٩٦م يتعدى قيمته الرمزية بشكل كبير. وقد منح اللقب لمدينة بيروت، التي ينتمي إليها نشاب، في عام ١٩٩٩م. ويقول نشاب إن «لبنان كان بحاجة إلى ذلك لتحسين الصورة المأسوية العامة

التي كانت شائعة عنه كبلد مزقته الحروب. وقد ساعد اختيار بيروت عاصمة للثقافة آنذاك على الإسراع بحركة النهضة والتعافي من آثار الحرب».

واضطلعت الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وهي الجهاز الحكومي المسؤول عن الأنشطة الثقافية والرياضية والاجتماعية، بمهمة تنسيق فعاليات الاحتفال بالرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م. وقد قامت بإعداد دليل يتألف من ٢٣٦ صفحة يتضمن فعاليات الاحتفالات من قراءات شعرية ومسابقات وعروض لرسوم من إبداع طلبة المدارس ومعارض ومحاضرات وأنشطة ثقافية خارجية.

ويعلق الأستاذ محمد التويجري، عضو فريق التنسيق لبرامج الاحتفال بالرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، بقوله: «لقد تمحور دورنا الأساسي في إثارة اهتمام الآخرين في المقام الأول، وذلك بتشجيع جميع المشاركات وتقديم المعلومات للمؤسسات التي ترعى الأنشطة التي تختارها في إطار برامج الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م».

وقد كانت الأمسيات الشعرية من أكثر الفعاليات التي تشهد عادة حضوراً مكثفاً لما للشعر من مكانة خاصة كأقدم وأعظم الفنون التقليدية في المملكة. ففي العصور الجاهلية كان الشعر فناً متميزاً من الفنون التي اشتهر بها العرب، حيث كانوا يحفظون أبيات الشعر عن ظهر قلب ويتناقلونها شفاهة فيما بينهم من جيل إلى آخر. ومع ظهور الإسلام أصبح التعليم أكثر انتشاراً وبدأت النصوص المكتوبة تشكل عنصراً مكملاً لما كان يتم تداوله شفوياً. واليوم مايزال شغف الناس بالشعر

خيمة في المتحف البريطاني

بقلم: آرثر كلارك *



في إطار الاحتفال بمدينة الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠، قامت المملكة بإهداء المتحف البريطاني خيمة بدوية «بيت الشعر» لعرضها في المتحف بحيث تكون نافذة يمكن للجمهور البريطاني أن يطل من خلالها على التراث والحضارة السعودية.

وقد نصبت الخيمة في المعرض الذي يقيمه المتحف بصفة مستمرة تحت شعار «الثقافات العربية: الدول الحديثة»، واجتذبت عدداً هائلاً من الزوار. وقد كانت هذه الخيمة المصنوعة من خيوط بنية وبيضاء من وبر الجمال والماعز بمثابة إطلالة فريدة على المجتمع السعودي وتراثه المتميز. وتعليقاً على ذلك، تقول كارولين بيري، المسؤولة عن الفعاليات الثقافية الخاصة بالعالم العربي في المتحف «إن الخيمة تعد شيئاً فريداً ولا تقع في إطار المعروضات التي يتوقع الناس رؤيتها هنا»، ومن هذا المنطلق، ربما كان للخيمة ومحتوياتها أثر كبير على الزوار فاق كل ما كان متوقعاً.

وتضيف كارولين إن الأطفال والشباب المسلمين في بريطانيا يعرفون «أن المملكة مهد الدين الإسلامي وقبلة الحجاج، وهم يتطلعون إلى السفر إليها. ومن الجميل أن تتاح الفرصة للأطفال المسلمين ممن هم في سن الخامسة عشرة بالمدارس الموجودة في لندن لتكوين فكرة عامة عنها.» وذلك عن طريق لمس أوشم أو تذوق بعضاً من المعروضات القادمة من المملكة. أما بالنسبة لغير المسلمين، فإن الخيمة تمثل إطلالة على القيم الأصيلة للحضارة العربية.

ويعبر طفل بريطاني يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً عن دهشته وإعجابه بالخيمة قائلا «إنها أكبر وأفخم من تلك التي اعتدت التخييم فيها، وهي تبدو كما لو كانت مخصصة لشخص على درجة كبيرة من الأهمية لما تحتويه من أشياء كثيرة جميلة وغير مألوفة.» وفي تعليق آخر، يقول أحد الزائرين الأكبر سناً «لقد كان من الجميل أن أجلس في الخيمة وأتناول قدحاً من الشاي».

وتعتقد كارولين أن التأثير الخاص الذي تركته الخيمة على الزوار ربما يعزى إلى كون معظم المعروضات في المتحف يراها الزائرون وهي خلف ألواح زجاجية ولا يستطيعون لمسها، في حين أن الخيمة كانت مفتوحة لهم وكان بإمكانهم الدخول إليها، مما يتيح لهم الاستمتاع بتجربة فريدة. ومن المقرر أن يتم نقل الخيمة لعرضها في أربعة أماكن أخرى في بريطانيا قبل أن تصبح من المعروضات الدائمة التي يقدمها المتحف لزائريه.

ربما يعزى التأثير الخاص الذي تركته الخيمة على الزوار إلى كون معظم المعروضات في المتحف يراها الزائرون وهي خلف ألواح زجاجية ولا يستطيعون لمسها، في حين أن الخيمة كانت مفتوحة لهم وكان بإمكانهم الدخول إليها، مما يتيح لهم الاستمتاع بتجربة فريدة

ويذكر أن هذه الخيمة، المهداة من صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن سلطان ابن عبدالعزيز، وكيل وزير الإعلام للإعلام الخارجي، كانت قد صنعت خصيصاً في أحد المصانع بمدينة الرياض لعرضها بغرفة الوثائق الدولية السابقة في المتحف البريطاني، وذلك في إطار الجهود المستمرة التي يبذلها كل من معالي وزير الإعلام السعودي، الأستاذ فؤاد الفارسي، وسعادة سفير خادم الحرمين الشريفين في المملكة المتحدة وايرلندا، الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، لتعزيز التفاهم والتبادل الثقافي بين السعوديين والبريطانيين على وجه الخصوص، والعالمين العربي والغربي بصفة عامة. وتبلغ مساحة تلك الخيمة ثمانية وعشرين متراً مربعاً، في حين يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار، وهي تميل إلى الشكل المربع وروعي فيها تخصيص المزيد من المساحة الرأسية على نحو أكبر مما هو متبع في الأنواع التقليدية من الخيام التي يقيمها البدو في الصحراء. ويقول الدكتور فواز الدخيل، الملحق الثقافي بالمركز الإعلامي في السفارة السعودية، إنها تمثل في حقيقة الأمر «الطراز الجديد» من الخيام البدوية الذي أصبح شائعاً في معظم مدن المملكة.

وقد أضافت الخيمة ومحتوياتها، بما في ذلك الملابس والمعروضات التقليدية مثل المصابيح وسرج الجمل والجديلة التي يوضع عليها الطعام، جواً خاصاً وخلفية يمكن على أساسها سرد مختلف الروايات عن تراث المملكة، كما أنها تمثل نماذج حية للكرم السعودي، وقد استمتع الزوار بتناول القهوة العربية المميزة بطعم الهيل والشاي الذي يعد على الطريقة التقليدية، كما تذوقوا بعض أصناف الحلويات السعودية مثل الكليجة، وهي تصنع من القمح وعجين التمر في منطقة القصيم الواقعة بالجزء الشمالي من المملكة، وكذلك «الإقت» وهو حليب يجري تكثيفه حتى يصبح كالعجين ثم يترك ليجف في الشمس.

ويقول الدكتور غازي القصيبي إن إهداء الخيمة للمتحف «جاء دليلاً على حسن الصداقة والعلاقات الجيدة، وإنني أعتقد أن احتفالات الرياض لعام ٢٠٠٠م أتاحت فرصة ممتازة للمواطنين السعوديين للتعبير عن نقاط القوة والإنجازات العديدة التي يزخر بها تراثهم الوطني». ويضيف موضحاً: «الإسلام هو قلب حضارتنا، ولا شك أن خدمتنا للإسلام الذي يشكل العنصر الأساس في الثقافة العربية تعد أكبر إسهاماتنا التي نقدمها للعالم بأسره. كما أننا قد أظهرنا بالدليل العملي أنه من الممكن تطوير البلاد بوتيرة سريعة مع عدم التخلي عن عاداتنا وتقاليدنا أو تراثنا الحضاري. فالكثير من العناصر التي تدخل في تكويننا الثقافي مقدسة وخالدة وتحث البشرية على التطلع بكل أمل إلى غد أكثر إشراقاً، وإنني لعلى ثقة من أن الحضارة التي تمثلها مدينة الرياض سوف تظل قائمة».

* كاتب ومحرر بإدارة العلاقات بأرامكو السعودية.

أحد المطاعم في مدينة الرياض اختار نموذجاً متميزاً للتراث السعودي للعرض على واجهته الخارجية مقارنةً بغيره من المطاعم المنافسة التي تمثل شركات دولية. وفي الجزء السفلي تظهر اللوحة الإعلانية لمقهى الصخرة الذي يعد واحداً من أكثر المقاهي المزدحمة في المدينة في دلالة واضحة على الدور المهم الذي تلعبه التقنيات الرقمية في إعادة تشكيل الطابع الثقافي للمدينة



«المجتمع السعودي هو من أكثر الشعوب المحافظة في العالمين العربي والإسلامي، كما أنه يتمتع بدرجة كبيرة من الاستعداد والقدرة على التغيير»

الأستاذ الدكتور/صالح الهذلول

والأدب يشكل واحداً من أقوى السمات الثقافية للمجتمع السعودي، ومن ثم فإن فعاليات الاحتفال بالرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م تضمنت العديد من الأمسيات الشعرية لإلقاء الشعر الكلاسيكي والشعر النبطي بالإضافة إلى المسابقات التي تقام في الشعر الحديث والشعر الشعبي.

ولعل خير دليل على المكانة الكبيرة التي يحظى بها الشعر في المجتمع السعودي وشغف الناس به هو ذلك الطفل المعجزة حمد مناور العنزي الذي لم يتجاوز السادسة من عمره بعد، ويعد واحداً من أكثر الشعراء شهرة في الوقت الحالي. ويعد حمد أصغر شاعر سعودي، كما أن والده من الشعراء الذين يلقون الشعر النبطي، السماعي، وهو لا يعرف القراءة أو الكتابة. ويقول والد حمد إنه بدأ يلاحظ علامات النبوغ على ابنه بما يتمتع به من ذاكرة حفاظة وقدرة على الإبداع الشعري وهو في الثانية من عمره. ويستطيع حمد أن يلقي الشعر التقليدي ببراعة ويؤلف الشعر الشعبي باللغة العامية طبقاً للأشكال

الكلاسيكية. وقد قام بإلقاء الشعر أمام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام في المملكة العربية السعودية. مما أكسبه شهرة محلية واسعة.

ويأتي الأدب النثري في مرتبة تالية للشعر من حيث الشعبية، غير أنه لا يقل عنه مكانة. وقد شهدت مدينة الرياض، تنامياً متزايداً في عدد المكتبات بصورة تدعو إلى الفخر والاعتزاز.

وفي هذا الصدد يقول ستيفن رومان الذي أجرى دراسات على المكتبات الإسلامية في العالم: «إن التطور غير العادي للمكتبات الذي شهدته مدينة الرياض على مدى العشرين سنة الماضية لا يوجد له نظير في التاريخ الحديث، إذ تضم الرياض مجموعة من أفضل المكتبات في العالم العربي من حيث المحتوى والبنية الأساس والأنظمة الحديثة التي تتبعها».

وقد أشار الأستاذ يحيى بن جنيد، الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إلى تلك الحقيقة منذ فترة خلت، كما أن الدراسة التي أجراها عن الأثر الإسلامي وإسهاماته الثقافية في مختلف الحضارات عبر الكتب والمكتبات، كانت من الإنجازات التي رشحته للفوز بجائزة الملك فيصل الدولية للدراسات الإسلامية في عام ١٩٩٨م.

ويُذكر أن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية يضم من المؤلفات التاريخية فقط نحو ٢٥٠٠٠ مخطوطة عربية، وهي تعد أكبر مجموعة من المخطوطات التي يضمها مركز أو مكتبة في منطقة الخليج، وواحدة من أكبر المجموعات في العالم العربي كله. ويعلق الأستاذ يحيى على ذلك بقوله «تمكنا من اقتناء تلك المجموعة من المخطوطات عبر سنوات طوال. فقد تم شراء العديد من هذه المخطوطات من المعارض الفنية العالمية، أما المجموعة الأخرى فإنها من المقتنيات التي أهديت إلى المركز».

وبالإضافة إلى ذلك، تضم مدينة الرياض اثنتين من المكتبات الجامعية الكبرى وعدداً من المكتبات العامة التي تحتوي على مجموعة أخرى من المخطوطات التاريخية التي تقدر بنحو ٢٦٠٠٠ مخطوطة.

ويقول الأستاذ يحيى بن جنيد إن فعاليات «الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م» أتاح لمركز الملك فيصل فرصة «لإلقاء الضوء على الكنوز الثقافية المهمة التي توجد في المركز وغيره من المكتبات في هذه المدينة وفي العالم كله». «وبالإضافة إلى ما يُعرض من كتب ومخطوطات للقرآن الكريم، فإن المركز افتتح مؤخراً متحف التراث الإسلامي، وهو يعد أول متحف عام في مدينة الرياض يخصص بأكمله لمجموعة كبيرة من الفنون الإسلامية التي يعود تاريخها إلى القرن الثامن. كما قام المركز بتنظيم سلسلة من المحاضرات التي أتاحت لمجموعة من الأدباء العالميين إدارة مناقشات حول أثر الحضارة العربية في الهند وآسيا الوسطى وأوروبا. كما نظم المركز معرضاً للكتب الإلكترونية ومسابقة للأفلام الوثائقية السعودية، التي تمثل أول مهرجان للأفلام من هذا النوع في المملكة.

وفي عام ١٩٩٧م، بدأت مؤسسة الملك فيصل، التي تدعم المركز والعديد من الأنشطة الثقافية والإنسانية المختلفة، في إنشاء ناطحة للسحاب سوف تساعد على توسعة مقر عمل المؤسسة ضمن ما تحتويه من شقق ومكاتب أخرى، ومركز للتسوق على الطراز العالمي وفندق خمس نجوم ومركز للمؤتمرات. والشيء الفريد حقاً في هذا المجمع الكبير هو أن جميع عوائده من الاستثمار التجاري سوف تخصص لدعم أنشطة مؤسسة الملك فيصل في المجالين الإنساني والثقافي.

وقد أثمر ذلك عن إنشاء مركز الفيصلية الذي افتتح في الخامس عشر من شهر مايو من عام ٢٠٠٠م ليشكل بذلك تغييراً كبيراً في المباني والمنشآت التي توجد بالمدينة، حيث أن هذا البرج الذي يمتد بارتفاع ٢٧٦ متراً (٩٠٠ قدم)، يعد واحداً من المباني التي شيدت وفق أحدث التصاميم في العالم العربي. واحتفالاً بافتتاح هذا المبنى، الذي تأمل مؤسسة الملك فيصل في أن يصبح معادلاً لمبنى «إمباير ستيت» في نيويورك؛ أو برج إيفل في باريس، احتشد مئات الألوف من الناس في الشوارع لمشاهدة الألعاب النارية الكثيفة التي انطلقت من ذلك المبنى مع عرض بأشعة الليزر يعد الأول من نوعه في المملكة.

ويقول الدكتور صالح الهذلول، الأستاذ الطليعي والناقد المعماري والمخطط لمدينة الرياض «إننا نتبع نمطاً محافظاً في الحياة، ولكنه لا يخلو من الانفتاح والرغبة في التجريب، ومدينة الرياض تفخر بما تضمه من مبان حديثة على مستوى راق من الإبداع والجودة». وفي إطار فعاليات برامج «الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م» قام الأستاذ صالح، المؤلف لكتاب «المدينة العربية المسلمة»، بتقديم محاضرات عامة عن المباني الحديثة التي تشكل معالم مميزة لمدينة الرياض بداية من المبنى الهرمي المقلوب لمقر وزارة الداخلية إلى استاد الملك فهد الرياضي المغطى بمظلة على شكل خيمة بيضاء والحي الدبلوماسي الحديث. وقد قام هذا الباحث بالتركيز، في كتابه، على مدينة الرياض، لأنها من وجهة نظره، تمثل نموذجاً للتفاعل الناتج عن الحداثة والمدنية، ويقول في هذا الصدد: «يعد المجتمع السعودي من أكثر الشعوب المحافظة في العالمين العربي والإسلامي، وعلى الرغم من ذلك فإنه يتمتع بدرجة كبيرة من الاستعداد والقدرة على التغيير».

وقد شهدت مدينة الرياض، مؤخراً، الكثير من التغيير، فقد كانت تلك المدينة مجرد بلدة صغيرة تضم بضع واحات تحيط بها الأسوار في مستهل القرن العشرين، ولكنها اليوم تشهد كماً هائلاً من التطورات والتوسعات الكبيرة مما يجعل المرء يعقد مقارنة بينها وبين مدينة لوس أنجلوس أو هيوستن الأمريكيتين. ويشير الهذلول إلى أن هذا التغير «يدل على أن الرياض تقوم، على نحو مستمر ، بإعادة النظر في العادات والتقاليد السائدة فيها مع السعي الدؤوب لإعادة تفسير الماضي، على ضوء معطيات الحاضر».

وينعكس ذلك بصورة واضحة ليس في المباني الرسمية التي يتم تصميمها لتكون من

احتفالات الرياض
عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠:
العقد العربي للتنمية الثقافية

تعود فكرة الاحتفال سنوياً «بالعواصم الثقافية» إلى المؤتمر العالمي الذي عقد في عام ١٩٨٢م تحت مظلة الأمم المتحدة، حيث تم الاتفاق بين مندوبي مختلف الدول المشاركة على أن التعريف العام للتنمية ينبغي أن يتضمن بعداً ثقافياً لأن الثقافة، أكثر من أي عنصر آخر، تهدف في المقام الأول إلى خير الإنسان وسعادته.

وفي عام ١٩٨٦م أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن الفترة من ١٩٨٧ إلى١٩٩٧م سوف تمثل «العقد العالمي للتنمية الثقافية». وعهدت إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) بمهمة الإشراف على تنفيذ هذه الاستراتيجية باعتبارها المنظمة الرائدة في هذا المجال. كما أقرت المنظمة مايزيد على ١٠٠٠ مشروع تقدمت بها ١٥٢ دولة عضو في الأمم المتحدة، منها «برنامج العواصم الثقافية الإقليمية» الذي بدأ تطبيقه في أوروبا لدعم وإنعاش الجهود الثقافية التي تشهدها بعض المدن مثل جلاسكو ومانشيستر وبرشلونة.

أما في العالم العربي، فإن الدول الاثنتين والعشرين الأعضاء في جامعة الدول العربية، كانت قد اتفقت فيما بينها منذ عام١٩٦٤م على دعم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تم تأسيسها على غرار منظمة اليونسكو لإضفاء البعد الإقليمي على الأنشطة الثقافية في المنطقة. وبينما كان العقد العالمي للتنمية الثقافية يشرف على نهايته في عام ١٩٩٨م، أعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إطلاق «العقد العربي للتنمية الثقافية»، ووقع الاختيار على الشارقة لتكون عاصمة الثقافة العربية لعام١٩٩٨م، ثم بيروت في عام ١٩٩٩م، وحظيت الرياض باللقب في نهاية الألفية الميلادية الثانية.

وفي هذا الصدد يقول هشام نشاب، مندوب لبنان في المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو «إن المفهوم في حد ذاته يمثل احتفالاً بالتنوع في مظاهر الحياة اليومية والتراثية والمجالات الثقافية التي تتمتع بها المدينة العربية. وذلك لأن التنوع الثقافي، كما هو الحال بالنسبة للتنوع البيئي، يمثل قيمة إيجابية تحرص منظمة اليونسكو على تدعيمها.»

ومن المقرر أن يشمل برنامج العواصم الثقافية العربية الاحتفال بمدينة الكويت في عام ٢٠٠١، ثم مدينة عمان بالأردن في عام ٢٠٠٢، والرباط في عام ٢٠٠٣، وصنعاء في عام٢٠٠٤، ثم الخرطوم في عام ٢٠٠٥م.



فاروق بكداش يرأس وحدة الفهرسة في مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، التي تدعم جميع البحوث التي تجرى حول ما تضمه المكتبة من مخطوطات يبلغ عددها نحو ٢٥٠٠٠ مخطوطة عربية

العلامات المميزة لكل مدينة فحسب، ولكن أيضاً في غيرها من المباني التجارية والمنازل الجديدة. وفي جميع أنحاء المدينة توجد شركات أعمال صغيرة تقوم بتشييد مبان على الطراز المعماري الفريد لمدينة الرياض، مستلهمة تصاميمها من نبع التراث الحضاري لمنطقة نجد. وقد نتج عن ذلك العديد من الأشكال والألوان التي تعبر عن طاقة إبداعية شابة كما تدل على العودة للجذور التقليدية. وتعد المثلثات الصغيرة التي كانت تستخدم فيما مضى لتوفير التهوية في المنازل المبنية من الطوب من التصاميم الشائعة على وجه الخصوص في الوقت الحالي، ولكنها تصنع الآن في معظم الأحيان على هيئة مجموعة من النوافذ المزودة بزجاج مصقول. إضافة إلى ذلك أصبحت أسطح المباني تغطى بأسقف ذات حواف مدرجة ومفرغة، وهي سمة أخرى من السمات التي كانت تتميز بها تصاميم البيوت الطينية في منطقة نجد. وأصبح اللونان النحاسي والذهبي من الألوان الشائعة في العصر الحالي.

وتقوم الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بالإشراف على أعمال التطوير الحضري التي تشهدها المدينة، ويعد مشروع تجديد قلعة الدرعية التاريخية التي بنيت بالطوب في أطراف مدينة الرياض خلال القرن التاسع عشر الميلادي لتكون مقراً للحكم إبان عهد الأسرتين السعوديتين الأولى والثانية، من المشروعات الكبرى التي اضطلعت الهيئة بتنفيذها في إطار برامج الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م. وتولى إدارة هذا المشروع قسم المحافظة على التراث التاريخي في الهيئة.

ويقول المهندس عبداللطيف آل الشيخ، عضو الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، رئيس مركز المشاريع والتخطيط: «إن الهيئة تعنى منذ فترة طويلة بمراجعة أعمال الإنشاءات التجارية والصناعية والإسكانية، فضلاً عن التأكد من الاستغلال الأمثل للمساحات الشاسعة في تطوير المدينة بما يتفق مع أعلى المعايير الثقافية العالمية في هذا الصدد، حيث يعتمد الاستغلال الأمثل للمساحات في الوقت الحالي على المضمون الثقافي، وهو ما يتيح للرياض فرصة جيدة لعرض ما تتمتع به من حضارة وثقافة وتراث. ويشكل ذلك أهمية بالغة لتطور الحس الوطني لأن مثل هذه المساحات توفر الإطار الذي يساعدنا على الإبداع والتعبير عن تراثنا الحضاري».

ويكمل الحديث عبدالرحمن السري، مدير التطوير الثقافي والعمراني في الهيئة

العليا، موضحاً أن الهيئة قامت بما هو أكثر من التخطيط لبرامج الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، إذ أنها قامت بالإعداد لتنظيم معارض عن المباني الطينية التي تمثل جزءاً من التراث، إضافة إلى الأعمال المتعلقة بأصول اللغة.

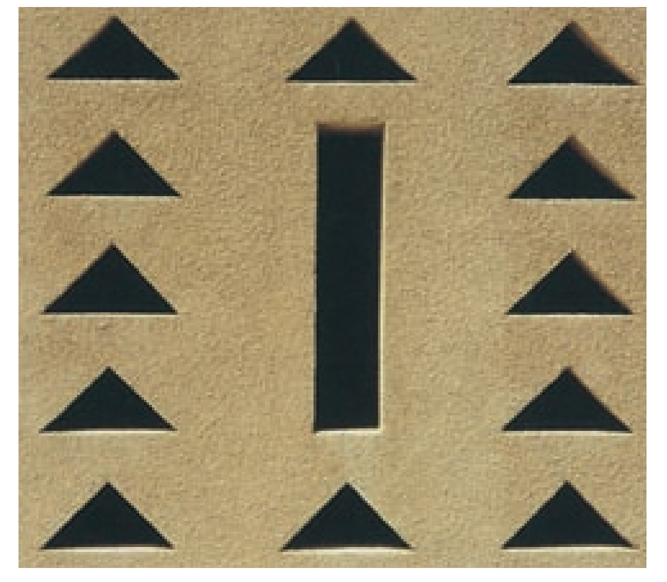
كما نظمت مؤسسة «واحة العلوم» التي تديرها الهيئة محاضرات لمناقشة العديد من الموضوعات. وقد تم تخصيص إحدى هذه المحاضرات لمناقشة الأسماء المختلفة للنجوم والكواكب التي استخدمت في المجالات الشعبية والعلمية والرسمية، عبر العصور الجاهلية والحضارات العربية القديمة. ففي تلك الحضارات، كما هو الحال في عالمنا اليوم، كانت السماء تمثل مجالاً مهماً، خاصة في الليالي الصحراوية، ليس لأغراض الملاحة البرية وتحديد الوقت فحسب، ولكن أيضاً لأنها تتيح للخيال البشري الانطلاق إلى الآفاق البعيدة وتدفع المرء إلى التأمل في ذلك المعين الذي لا ينضب من الأسرار التي أودعها الله في هذا الكون الرحيب.

ويرى عبدالرحمن السري أن «الثقافة تشكل جزءاً لا يتجزأ من الدين، فالدين هو النظام الذي يحكم حياتنا وعلاقاتنا وسلوكياتنا وطريقتنا في العبادة. وكلما عملنا أكثر، أصبحت هويتنا أكثر تميزاً ووضوحاً».

ويضيف موضحاً أن جزءاً كبيراً من الثقافة الدينية لأهل الرياض يظهر في الأمسيات الدينية التي تقام في المساجد الموجودة بالمدينة، حيث يجتمع الناس للمناقشة والدرس عقب صلاة العشاء. وفي بعض المساجد الكبيرة يقوم كبار الأئمة بإلقاء محاضرات حول العديد من الموضوعات التي تتناول المبادئ الأخلاقية والتاريخ وغير ذلك من الموضوعات الثقافية المختلفة. وقد يتم تسجيل هذه المحاضرات على أشرطة كاسيت، ومن ثم تباع هذه الأشرطة لخدمة الأغراض التعليمية. وتحظى هذه الأشرطة بقبول كبير لدى الأعداد المتزايدة من المواطنين الذين يستخدمون سياراتهم في تنقلاتهم اليومية.

ويعد «المجلس» شكلاً آخر من أشكال التجمعات الثقافية الشعبية، وهو تقليد صحراوي قديم ربما كان معروفاً منذ أن سكن الإنسان صحراء الجزيرة العربية. واليوم مايزال هناك الكثير من التجمعات التي تنشأ على غرار صالونات البيوت العصرية بكل ما تضمه من وسائل للراحة. وهي تمثل جزءاً منظماً من الحياة الثقافية والطاقة المتدفقة في مدينة الرياض. وفي البيوت التي أنشئت حديثاً يراعى في الغالب إقامة خيمة في الساحة الخارجية للمنزل لاستضافة الرجال، في حين أن النساء يجلسن في الصالونات الداخلية الوثيرة. ويدور معظم الحوار في أي مجلس حول مختلف شؤون الحياة الاجتماعية والثقافية التي قد تشمل الجوانب الفلسفية أو الشعر أو الأدب أو التاريخ أو الأسرة والأنساب القبلية والأحداث العامة الجارية. وجرت العادة على أن تُقدم في مثل هذه المجالس المشروبات التي تشمل القهوة العربية بطعم الهيل وكذلك الشاي، بالإضافة إلى التمر الذي يكثر نخيله في مدينة الرياض، والذي يعزى إليه الفضل في اكتساب الرياض لاسمها الحالي منذ ما يزيد عن خمسة آلاف سنة، حيث كانت تنتشر فيها زراعة النخيل.

ومن جهة أخرى فإن التقدير الرسمي للاتجاه الذي بدأ يظهر مؤخراً لإعادة تقديم فنون الطهي التي كانت معروفة سابقاً في المجتمع السعودي، برز كأحد المظاهر الثقافية التي شهدتها فعاليات برنامج الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، فمنذ فترة ليست بطويلة كانت المطاعم في مدينة الرياض تقدم الأطباق الشرقية والغربية،



أصبحت معظم النوافذ في المباني الحديثة بمنطقة نجد تزخرف بمجموعة من الأشكال والتصاميم الهندسية على هيئة مثلثات منتظمة الترتيب مستوحاة من تصاميم قديمة تعود لعدة قرون لتوفير الإضاءة والتهوية الملائمة للمباني المصنوعة من الطين

«لقد مررنا بمرحلة انتعاش وازدهار، أدت إلى سفر العديد من السعوديين إلى الخارج وتعرفهم إلى حضارة الغير بصورة مكثَّفة في السنوات الأخيرة، والآن هناك رغبة عامة لدى المواطنين لمعرفة المزيد من خبايا تراثهم»

الأستاذ الدكتور/عبدالرحمن الطيب الأنصاري



عروض بالألعاب النارية وأشعة الليزر احتفالاً بافتتاح مركز الفيصلية الذي يُعد تحفة معمارية وأعلى مبنى في مدينة الرياض في الوقت الحالي

«يمثل التراث أحد الموارد والأصول المهمة، التي نسترشد بها في أوقات التغيير»

صاحب السمو الملكي الأمير/ سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز

ولكن الآن هناك العديد من المطاعم التي تقدم الأطباق السعودية أيضاً، بل إن بعضها يقتصر نشاطه عليها تقريباً.

كما أن هناك صحوة مماثلة في مجال زراعة التمر الذي يعد أشهر نوع من الطعام الذي يرمز إلى المجتمع السعودي، وبالإضافة إلى مزارع النخيل التجارية الكبيرة التي أصبحت منتشرة في المدينة، هناك محال ملحقة ببساتين النخيل تبيع، لتجار التجزئة المتخصصين، مختلف أنواع التمور ومنتجاتها.

وقد قام مؤخراً، سلمان السديري، مدير وصاحب محلات تمور البتيل في الرياض، بافتتاح فروع لمحلاته في كل عاصمة من دول الخليج العربية، ويعتزم إقامة فرعين له في إحدى الدول الغربية. ويعد السديري واحداً من بين المستثمرين الشباب السعوديين الذين سعوا للاستفادة من الطلب المتزايد على شراء المنتجات التي ترتبط بالتراث الحضاري والثقافي للمملكة. وهو يقول «يمثل التمر حقاً واحداً من أهم الصادرات الثقافية للمملكة، إذ أنه يمثل على نحو فريد جوانب مهمة من تراثنا تشمل الكرم والاعتناء بالصحة والتعبير عن الامتنان. ونحن جميعاً نرتبط بأشجار النخيل بطريقة أو بأخرى، فقد صمدت تلك الأشجار أمام عاديات الدهر، وقد كبرنا معها، وكلما عرفت المزيد عن النخلة تشعر تجاهها بالمزيد من التقدير والاحترام لكونها قد تحملت كثيراً وقدمت لنا هذه الثمار المفيدة».

ومما تجدر ملاحظته أن الإقبال أصبح متزايداً على اقتناء الخيام أيضاً، وتعليقاً على ذلك يقول عبدالله التميمي، الذي يدير إحدى المؤسسات العائلية لصناعة الخيام العربية: «هناك طلبات متزايدة على منتجاتنا من الخيام التي تصنع على الطراز البدوي مزينة بإطار من الوبر الأسود لاستخدامها كمجلس في البيوت». وتشهد هذه الصناعة في الوقت الحالي استخدام مواد مصنعة طبقاً للتقنيات الحديثة بالتصاميم والألوان المعروفة تراثياً.

ويضيف التميمي : «أتاح السفر والتعليم في الدول الغربية لنا استيعاب مفاهيم حديثة في مجال الإنتاج وتقديم الخدمات ، ولكننا مانزال على ارتباطنا بجذورنا التراثية في المجتمع ونرى أن هناك فرصاً جيدة للتجارة في الأعمال التي تركز على التصاميم والأساليب التقليدية في البناء فضلاً عن الأطعمة والمنتجات التراثية. والاتجاه السائد في المجتمع السعودي في الوقت الحالي هو شراء مثل هذه المنتجات».

وهناك مثال حي للمباني التي شيدت من وحي التراث في مكتب فهد السماري، الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز للأبحاث والمحفوظات، حيث يلحظ المرء الأسقف العالية مع وجود باب على الطراز التقليدي الذي يؤدي إلى باحة بسيطة تحيط بها الأعمدة، وجميعها مستوحاة من الطراز المعماري النجدي.

وفي إطار برامج الاحتفالات بالرياض عاصمة ثقافية لعام ٢٠٠٠م، قامت المؤسسة بتنظيم معرض للكتب المغمورة والمطبوعات التي أنتجت ووزعت في العالم العربي تحت رعاية الملك عبدالعزيز، رحمه الله، خلال عقدي العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن. ويشير فهد السماري إلى أن مؤسس المملكة، جلالة الملك عبدالعزيز، كان يحتفل بذكرى تأسيس الدولة، كما كان يقدم الدعم المادي للفنون الأدبية في المملكة حتى في الأوقات التي تأثرت فيها المملكة سلباً بسبب الركود الاقتصادي العالمي مثلها مثل أية دولة أخرى في العالم.

وقد أقيم معرض لبعض المخطوطات التي يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر، مع تقديم عرض يركز على «أم القرى»، أول جريدة سعودية. كما أقيم أيضاً مؤتمر لاستعراض مكانة الثقافة السعودية في المحيط العربي. وقد أتاح ذلك فرصة طيبة لمراجعة ومناقشة الإسهامات السعودية في الأعمال الأدبية، مع تناول الملاحظات التي دونها الرّحالة والكُتّاب العرب حول هذه المنطقة التي أصبحت تعرف لاحقاً باسم المملكة العربية السعودية. وقد أقيم مهرجان وسوق تراثي للعائلات في الساحة والحدائق المحيطة بقرب المؤسسة خلال شهر سبتمبر من العام الماضي.

وضمن أنشطة «دارة الملك عبدالعزيز للأبحاث والمحفوظات»، للاحتفال باختيار الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، قيامها بطباعة الكتاب الأول عن أشهر النساء في المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية، وقد خُصص عدد من الفعاليات في برامج الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، لإلقاء الضوء على التراث الذي خلفته المرأة السعودية، بما في ذلك إسهامها الفكري والعلمي في بعض المجالات مثل الطب والإدارة والإعلام.

وقد تم افتتاح أقسام مزودة بموظفات سعوديات مؤهلات في كل من المؤسسة والمتحف الوطني السعودي، مما جعل الخدمات التي تقدمها هذه المؤسسات متاحة للمزيد من النساء بصورة أكبر مما كانت عليه من قبل .

وفي جامعة الملك سعود بالرياض أكد عبدالرحمن الأنصاري، الذي قام بتأسيس إدارة الآثار في منتصف الستينيات من هذا القرن،



أصبحت بيوت الشَّعر، شائعةً بصورة متزايدة لدى سكان المدن الذين يستخدمونها كمجالس خارجية في البيوت

«تُعد المملكة العربية السعودية من البلاد التي تروق للمسافرين الذين جابوا معظم بلدان العالم»

تيد كونوفر

على أهمية دور الرياض في مجال الثقافة العربية سواء في الحاضر أم الماضي، وقد أصبحت الرياض اليوم تضم مواطنين سعوديين قدموا إليها من عدة مناطق مختلفة في المملكة حاملين إليها الطابع التراثي والحضاري المتميز في هذه المناطق، ومن ثم «فإننا عندما ننظر إلى الرياض باعتبارها عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، ينبغي لنا أن ندرك أن المدينة أصبحت تشكل نسيجاً ثرياً من مختلف الثقافات في ربوع المملكة، أي أنها تمثل جميع الجوانب والمناطق بما في ذلك اللهجات المحلية والعادات والتقاليد والأغاني والشعر ومختلف أشكال التجمعات والأنشطة الاجتماعية».

ويعود الأنصاري بذاكرته إلى الماضي قائلاً: «حينما كانت العاصمة في طور النمو والتوسع، كنا نحن، خبراء الآثار، في جوف الصحراء نقب عن مكنوناتها من آثار الحضارة القديمة. وأذكر أن الناس كانوا يقولون عنا آنذاك إننا نضيع أوقاتنا سدى وكانوا يتساءلون عن السبب الذي يجعلنا نذهب للحفر والتنقيب عن بعض الحجارة في حين أن الآخرين يحفرون بحثاً عن المال؟ وكانوا يقولون بأنهم يتطلعون إلى المستقبل في حين أننا نجذبهم إلى الماضي، واليوم يبادر هؤلاء الناس أنفسهم بالسؤال عن آخر الاكتشافات في مجال الآثار . فقد مررنا بمرحلة انتعاش وازدهار، وسافر العديد من السعوديين إلى الخارج بصورة مكثفة في السنوات الأخيرة، والآن هناك رغبة لدى المواطنين لمعرفة المزيد عن خبايا تراثهم».

ومن بين جميع الذين يسعون إلى المزج بين التراث والمعاصرة. يبرز صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز الذي كان أول عربي ومسلم يحلق في الفضاء الخارجي في عام ١٩٨٥م، وقد اضطلع منذ ذلك الحين برئاسة الجمعية السعودية للعمران لتعزيز الجهود المبذولة لإعادة اكتشاف مختلف الأشكال والمواد المعمارية في التراث السعودي.

وقد كانت المحاضرة التي ألقاها الأمير سلطان تحت عنوان «الرياض: مستقبلها وتراثها الثقافي» من بين الفعاليات الدولية التي قدمت في إطار الاحتفالات بالرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م. وقد قال سموه «إننا لانستطيع أن نغفل البعد التاريخي في تراثنا وحضارتنا، فإن التراث يمثل أحد الموارد والأصول المهمة، ويمكن لنا أن نسترشد به في أوقات التغيير».

ومازالت هناك تغييرات كثيرة سنشهدها في المستقبل قد يكون لها من الأثر ما يطغى على جميع التغييرات التي حدثت حتى يومنا هذا. وفي اليوم السابق لموعد المحاضرة التي ألقاها الأمير سلطان، كان قد أبلغ بقرار تعيينه أميناً عاماً للجنة العليا للسياحة التي تم تشكيلها مؤخراً. وبالإضافة إلى الثلاثة ملايين حاج وزائر الذين تستقبلهم المملكة في مواسم الحج والعمرة فإنها سوف تفتح المجال في هذا العام لاستقبال السياح من شتى بقاع العالم.

ومن المتوقع أن تكون الأفواج الأولى التي تصل من السياح من بين أوساط المهتمين بالسياحة الثقافية والتاريخية، خاصة أولئك الذين توفدهم الجامعات والمتاحف. وقد كتب «تيد كونوفر» عن ذلك في عدد شهر مارس الماضي من مجلة السياحة والترفيه، موضحاً أن المملكة العربية السعودية تعد من البلاد التي تروق للمسافرين الذين جابوا معظم دول العالم، ويتطلعون لمشاهدة مكان جديد غير معروف.

ومن هذا المنطلق فإن الاحتفال بالرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م لا يمثل دلالة على الازدهار المعاصر للثقافة السعودية فحسب، ولكنه أيضاً يفتح فرصاً جديدة للتبادل الثقافي والانفتاح على العالم الخارجي بصورة أكبر مما كان متبعاً من قبل. ■

عن مجلة «أرامكو وورلد» يوليو/ أغسطس ٢٠٠٠م.

* صور الموضوع : أرامكو السعودية

مناسبات وإصدارات واكبت الرياض ٢٠٠٠م

واكبت الرياض عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٠م العديد من المناسبات التعليمية والثقافية التي توزعت على مختلف مناطق المملكة، واشتملت على فعاليات موجهة للكبار من رجال ونساء، وللصغار من الأطفال، الذين كان لهم نصيب وافر من أحداث هذه المناسبة العزيزة على قلب عاصمة بلادنا.

ونعرض فيما يلي بعض هذه المناسبات بهدف الرصد، وإتاحة الفرصة للراغبين في التزود بالمعلومات أو الإصدارات الخاصة بالمناسبة ليطلبوها من مصادرها، باعتبارها جهات منفذة لهذه المناسبات.

- **افتتاح كلية دار الحكمة الأهلية بمحافظة جدة**

الراعي : صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز.

مكان التنفيذ : جدة.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **إعلان الانطلاقة الرسمية لمشروع عبدالله بن عبدالعزيز وأبنائه الطلبة للحاسب الآلي.**

مكان التنفيذ : قاعة الاحتفالات بوزارة المعارف.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **حفل مهرجان الأمير فيصل بن فهد الثقافي الأول.**

الراعي : صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز.

الجهة المنفذة : الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

مكان التنفيذ : جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **أفلام ومقالات**

الجهة المنفذة : وزارة الخارجية.

مكان التنفيذ : ممثليات المملكة بالخارج.

مستوى التنفيذ : محلي- دولي.

- **برنامج عن الرياض**

الجهة المنفذة : دارة الملك عبدالعزيز.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **فلم وثائقي عن مدينة الرياض**

الجهة المنفذة : أمانة مدينة الرياض.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي

- **المعرض الفني العالمي**

الجهة المنفذة : الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

القطاع المنفذ : الإدارة العامة للنشاطات الثقافية.

مكان التنفيذ : نيويورك.

مستوى التنفيذ : دولي.

- **معرض الفنون التشكيلية والتراث**

الجهة المنفذة : الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

القطاع المنفذ : الإدارة العامة للنشاطات الثقافية.

مكان التنفيذ : جمهورية التشيك.

مستوى التنفيذ : دولي.

- **معرض صور فوتوغرافية**

الجهة المنفذة : الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

القطاع المنفذ : الإدارة العامة للنشاطات الثقافية.

مكان التنفيذ : بكين.

مستوى التنفيذ : دولي.

- **معرض الكتاب الإسلامي**

الجهة المنفذة : وزارة التعليم العالي.

القطاع المنفذ : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

مكان التنفيذ : المدينة المنورة.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **عدد خاص من (مجلة الدارة)**

الجهة المنفذة : دارة الملك عبدالعزيز

مكان التنفيذ : الرياض

مستوى التنفيذ : محلي.

- **إصدارات متنوعة**

الجهة المنفذة : الرئاسة العامة لتعليم البنات.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

• سلسلة كتب: (هذه بلادنا)

الجهة المنفذة : الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

قطاع التنفيذ : الإدارة العامة للنشاطات الثقافية.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

• كتاب تحليلي عن إصدارات الأندية الأدبية

الجهة المنفذة : مكتبة الملك فهد الوطنية.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

• دليل الناشرين ودليل الدوريات

الجهة المنفذة : مكتبة الملك فهد الوطنية.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

• لقاءات علمية وثقافية: الطباعة والكتابة كرافد من روافد الثقافة السعودية

الجهة المنفذة : وزارة التعليم العالي.

القطاع المنفذ : جامعة الملك عبدالعزيز.

مكان التنفيذ : جدة.

مستوى التنفيذ : محلي.

• الرياض.. التاريخ والثقافة

ملامح الثقافة السعودية

الجهة المنفذة : وزارة الداخلية.

القطاع المنفذ : إمارة منطقة حائل.

مكان التنفيذ : حائل.

مستوى التنفيذ : محلي.

• افتتاح مراكز مصادر التعلُّم

الجهة المنفذة : وزارة المعارف.

القطاع المنفذ : وكالة الوزارة للتطوير التربوي.

مستوى التنفيذ : محلي.

• بحوث ودراسات

الجهة المنفذة : الرئاسة العامة لتعليم البنات.

مكان التنفيذ : مناطق المملكة.

مستوى التنفيذ : محلي.

• أسبوع الثقافة للمجتمع

الجهة المنفذة : وزارة التعليم العالي.

القطاع المنفذ : جامعة الملك عبدالعزيز «عمادة شؤون الطلاب»

مكان التنفيذ : جدة.

مستوى التنفيذ : محلي.

• أنشطة منبرية

الجهة المنفذة : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

مكان التنفيذ : مناطق المملكة.

مستوى التنفيذ : محلي.

• إصدار كتاب «رحلة العرب» للدكتور أحمد مبروك

الجهة المنفذة : دارة الملك عبدالعزيز.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

• ندوة اللغة العربية في المراحل الابتدائية.

الجهة المنفذة : وزارة المعارف.

قطاع التنفيذ : وكالة الوزارة للتطوير التربوي.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

• عروض فرق الفنون الشعبية لمناطق المملكة

الجهة المنفذة : رئاسة الحرس الوطني.

قطاع التنفيذ : مهرجان الجنادرية.

مكان التنفيذ : الجنادرية - الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

• الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، آمال وتطلعات.

الجهة المنفذة : وزارة الإعلام.

قطاع التنفيذ : محطة تلفزيون الدمام.

مكان التنفيذ : الدمام.

مستوى التنفيذ : محلي.

• برنامج الرياض ٢٠٠٠

الجهة المنفذة : وزارة الإعلام.

قطاع التنفيذ : القناة الأولى.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

• إصدارات لعدد من الكتب تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

الجهة المنفذة : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

قطاع التنفيذ : الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **إصدار كتيب باللغة الإنجليزية بعنوان: مشروع التاريخ الشفوي وتوثيق المصادر الوطنية**

الجهة المنفذة : دارة الملك عبدالعزيز.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **الترتيب لزيارة وفد تلفزيوني ياباني للمملكة لإنتاج برنامج تلفزيوني عن المملكة**

الجهة المنفذة : وزارة الصحة.

مكان التنفيذ : الرياض.

راعي البرنامج : شركة تلفزيون (تي في مان يونيون انكوربوريتد).

مستوى التنفيذ : محلي- دولي.

- **ثقافة الطفل على لسان الحيوانات**

الجهة المنفذة : الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وانمائها

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **أسبوع ثقافي في فنزويلا**

الجهة المنفذة : الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

قطاع التنفيذ : الإدارة العامة للنشاطات الثقافية.

مكان التنفيذ : فنزويلا.

مستوى التنفيذ : دولي.

- **الاحتفال بوضع حجر الأساس لمركز الملك عبدالعزيز للهوايات والنشاطات**

الجهة المنفذة : وزارة المعارف.

قطاع التنفيذ : وكالة الوزارة للمباني والتجهيزات المدرسية.

مكان التنفيذ : حي الروابي بمدينة الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **محاضرات ثقافية متنوعة**

الجهة المنفذة : اثنينية الشيخ عثمان الصالح.

مكان التنفيذ : الرياض

مستوى التنفيذ : محلي.

- **تفعيل دور المكتبات في نشر الثقافة ومساندة البحث العلمي عند المرأة**

الجهة المنفذة : دارة الملك عبدالعزيز.

قطاع التنفيذ : القسم النسائي.

مكان التنفيذ : الرياض.

- **نشأة المكتبات في المملكة العربية السعودية**

الجهة المنفذة : دارة الملك عبدالعزيز

قطاع التنفيذ : القسم النسائي.

مكان التنفيذ : الرياض.

- **المرأة والصحافة**

الجهة المنفذة : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

قطاع التنفيذ : القسم النسائي.

مكان التنفيذ : مقر المكتبة- الرياض.

- **إقامة معرض الكتاب الإلكتروني**

الجهة المنفذة : مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

قطاع التنفيذ : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **المعرض المتجول التشكيلي بالصين**

الجهة المنفذة : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

مكان التنفيذ : متحف المؤسس التذكاري- تايبيه.

مستوى التنفيذ : دولي.

- **المهرجان الثقافي للتراث الشعبي**

الجهة المنفذة : وزارة التعليم العالي.

قطاع التنفيذ : جامعة الملك عبدالعزيز (عمادة شؤون الطلاب).

مكان التنفيذ : جدة.

عدد المشاركين : مائة وعشرون طالباً.

مستوى التنفيذ : محلي.

- **الرياض والتعليم**

الجهة المنفذة : ندوة النخيل للدكتور محمد بن سعد بن حسين.

مكان التنفيذ : الرياض.

مستوى التنفيذ : محلي.

أقـوال مـواكـبـة

المدينة المغمورة بالضوء

الرياض هذه المدينة المغمورة بالضوء.. هذه الجوهرة المتوقدة في ليل الصحراء والدرة اللامعة تحت شمسها. الرياض هذه المدينة الغارقة في حقب التاريخ، كان اسمها حجر اليمامة، تعاقبت عليها أمم بعدها أمم، هزان الأولى، ثم طسم وجديس، وحنيفة إلى صدر الإسلام، كانت تظهر وتلوح ثم تتوارى وتختفي حسب المد والجزر التاريخي، تقوى وتضعف مع القوة المسيطرة أو ضعفها. تبدل اسمها من حجر إلى الرياض، لأسباب يجهلها المؤرخون، لأنها لحظة التغير كانت تعيش حقبة مجهولة. ونشط اسم الرياض وذاع وشاع حينما حوّلها مؤسس الدولة السعودية الثانية الإمام تركي عاصمة لملكه. ثم كادت تختفي حتى أصبحت إمارة قصية في ظل حكم ابن رشيد، لكن عبد العزيز منذ ذلك اليوم الذي فتح فيه بوابة «المصمك» أصبحت «الرياض» قنديلا يضيء ويشع وتتسع دائرة إشعاعه إلى هذا اليوم. كانت الرياض الشمعة التي رسم تحت ضوئها موحد الجزيرة خطط التوحيد.. وكما ظلت الرياض تبث العزة والبطولة، فإنها ظلت تبث الثقافة والمعرفة. من الرياض انطلقت فكرة تثقيف البادية.. كانت الرياض تمد «الهجر» بالعلماء والقراء والفقهاء.

د. غازي عبد الرحمن القصيبي

سفير خادم الحرمين الشريفين لدى المملكة المتحدة - لندن

نور الحضارة والثقافة

ليس غريباً أن تتوج الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، فقد شعّ من هذه الأرض المباركة نور الحضارة والثقافة منذ ١٤٢١ عاماً، حين أرسل الله سبحانه جبريل بالرسالة السماوية إلى عبده ونبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، لتكون تشريعاً لعباده في جميع شؤون الحياة، في وقت كان الناس فيه يعيشون حياة جاهلية لا تحكمهم سوى غرائزهم البشرية، فجاء هذا الدين الحنيف تنظيماً وتثقيفاً وتهذيباً للإنسان في كل مكان، ثم جاء على هذه الجزيرة حين من الدهر تفرق المسلمون فيه أحزاباً وشيعاً، وعلقت بالدين بعض الممارسات الخاطئة حتى ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي أعاد للدين صفاءه ونقاءه، وقيض الله لهذه الجزيرة عبداً من عباده الصالحين للم شتات أجزائها، فكان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي أمّن الجزيرة ووحد الناس لنصرة الدين وحماية الوطن، ووضع الركائز الأولى لبنيان هذه الأمة، ثم تبعه من بعده أبناؤه الكرام ليواصلوا المسيرة.

سلطانة بنت عبد العزيز الأحمد السديري

الريادة الإسلامية والمكانة الدولية

الرياض القلب النابض للمملكة العربية السعودية بعقيدتها الإسلامية السامية وشموخها الفكري والحضاري وأصالتها الاجتماعية الراسخة كان لها الدور والعطاء الذي رشحها لتكون عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م حيث تم ذلك في مؤتمر الوزراء العرب المسؤولين عن الشؤون الثقافية الذي عقد بالشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٨٨م، حين سعى إلى ذلك بكل ثقة وعزم صاحب السمو الملكي، أمير الثقافة والشباب وفقيد هذا الوطن الغالي فيصل بن فهد بن عبد العزيز، رحمه الله، فجاء قرار المؤتمر بكل جلاء متبنياً ترشيح الرياض عاصمة للثقافة العربية وذلك من بين عدد من العواصم العربية التي كانت مرشحة للاختيار. وسارعت منظمة اليونسكو بتأييد هذا الاختيار، ولم يكن ذلك الاختيار أو هذا التأييد مجاملة أو مصادفة وإنما جاء مستنداً على معايير عديدة وصائبة استحقت الاختيار والتأييد، لعل أبرزها ما تتسم به المملكة من ريادتها الإسلامية ومكانتها الدولية المتميزة وتراثها الثقافي الخالد، إضافة إلى إنجازاتها الحضارية المرموقة المعاصرة في جميع المجالات خاصة في مجالات التعليم والثقافة والإعلام.

د. خالد بن محمد العنقري، وزير التعليم العالي

مدينة الوجود والجهود

مما لا شك فيه أن هذا الاختيار لمدينة الرياض لم يأت من فراغ فهي المدينة التي تضم العديد من المؤسسات الثقافية المختلفة من جامعات وكليات وأندية أدبية وغيرها، وتحتضن جائزة الملك فيصل العالمية وتزخر بالأعداد الهائلة من الأدباء والمفكرين والكُتاب، الذين لا يقتصر تواجدهم على المستوى المحلي فحسب بل على المستوى العالمي أيضاً. كيف لا والاهتمام من قبل الدولة بالثقافة والمثقفين قد بدأ منذ بدايات توحيد المملكة على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، رحمه الله. كيف لا ... وعاصمتنا السعودية يقام فيها أهم المهرجانات الثقافية على الاطلاق ألا وهو مهرجان الجنادرية الوطني للتراث والثقافة. كيف لا ... وجهود الرئاسة العامة لرعاية الشباب في مجال رعاية المثقفين قد تجاوز الحدود.

عبد الرحمن بن علي الجريسي

رجل أعمال ورئيس مجموعة الجريسي

مقدمات عصر التحضر

لقد كان من ضمن تدابير القائد الموحد في معالجة هذه الأمور، السعي إلى إقامة «الهجر» التي أحيت الصحراء، وأقامت نوعاً من الاستقرار والحياة، وذلك بربط الإنسان في الصحراء بالإنتاج، وجعله يقف على العتبات الأولى في مرحلة التحضر، التي كانت إحدى المهام الأساسية في ملحمة التوحيد، ثم إقامة مجالس الحديث وتوعية الناس بأمور دينهم ودنياهم، وإقامة مجالس القضاء بين الناس. كانت تلك مقدمات عصر التحضر والاستقرار، الذي كفل له قائد فذ أن يقوم على عناصر راسخة من البناء. وفي عهد الأمن تنشأ الحضارة والتقدم، فقد أصبح الأمن عنواناً بارزاً للحياة في الجزيرة العربية. ويتقدم الإنسان نحو بناء حياته ووطنه. إنها خطوات التوحيد الأولى، التي كانت البناء القوي لحاضر هذا الكيان الكبير.

الأمانة العامة

الرياض عام ٢٠٠٠

ثقة العبور إلى القرن الجديد

بقلم: محمد غرم الله الدميني

المسافة الزمنية التي تفصل بين مشاهدة مدينة الرياض في منتصف السبعينيات والآن لم تكن بالفترة الزمنية الطويلة نسبياً، حينذاك لم تكن المدينة قد اتسعت، وتشابكت طرقها، وتعاضدت مبانيها العالية. وكان من السهل على زائريها لأول مرة تلمّس طريقهم بيسر وسهولة أثناء ذهابهم أو إيابهم.



شهدت مدينة الرياض نهضة عمرانية شاملة، طالت جميع مناحي حياتها من مساكن وطرق وجسور وأنفاق ومساحات مزروعة

أصبحت الرياض مركز استقطاب عالمي، سياسي واقتصادي وتجاري، تعقد فيها اللقاءات والمؤتمرات والندوات، ويتقافز عدد سكانها بين سنة وأخرى



جانب من مباني الرياض القديمة المبنية بالطين، يظهر في مقدمتها جانب من ساحة الصفاة حيث تحتشد جموع من المواطنين أمام بيت المالية

غدت المجمعات التسويقية الضخمة سمة مميزة من سمات الحياة التجارية في الرياض المعاصرة

فقد كان مطار الرياض القديم آخر المباني في شمال المدينة، وكانت منفوحة بمبانيها الطينية ومقاهيها وبعض المباني الحديثة هي آخر ما يصادفه المسافر وهو في طريقه نحو وادي ديراب متجهاً إلى الحجاز. وكانت السكة الحديد القديمة وحديقة الحيوانات، وربما ملعب الملز، آخر حدودها الشرقية، فيما كان شارع الناصرية وطريق الدرعية ثم حي البديعة آخر معالمها الغربية.. أما الشوارع الرئيسة داخل المدينة فلم تكن كثيرة. هناك شارع المطار القديم الذي يمور بحركة دافقة من الحافلات والسيارات، وتنتشر على جنباته الوزارات والفنادق، والأسواق المركزية، والأبنية، وعلى امتداده في عمق المدينة ينهض شارع البطحاء الشهير النابض بالحركة والناس والأضواء وبالمقاهي والمطاعم والبنوك والمكتبات والأسواق الشعبية، لكنه عرف أيضاً بازدحامه الشديد. وكان هناك أيضاً شارع الملك فيصل (الوزير سابقاً) الذي يعج بالمحال التجارية الأنيقة، والمعارض الضخمة والمتسوقين، ومن هذا الشارع يمكن الانحراف غرباً إلى شارع الثميري حيث أرقى المحلات التجارية والمعارض الفخمة، ومنه إلى ساحة الصفاة الواقعة بين جامع الرياض الكبير ومبنى قصر الحكم، ثم سوق المقيبرة (الديرة) التي تعج بكافة السلع الشعبية كالبن والهيل والعود والتوابل والعطور والأواني الخشبية ودلال القهوة والمشالح والمصنوعات الجلدية، والخواتم والقلائد والأساور وغيرها من الأقمشة والملبوسات الشعبية. كان هناك أيضاً شارع الستين في حي الملز، وشارع الخزان، وشارع الجامعة حيث تطل أغلب منشآت جامعة الملك سعود (الرياض سابقاً)، وشارع المعذر حيث فندق الرياض إنتركونتيننتال، ثم القصور الملكية، وقصور الأمراء.

اليوم، لم تعد تلك الشوارع تتردد على ألسنة الأهالي أو زائري المدينة وضيوفها، وأصبحت أقل الشوارع ازدحاماً بالمركبات والناس، وتوجهت الحركة التجارية إلى المجمعات التجارية الضخمة، التي نهضت داخل الأحياء الجديدة، أو في هوامشها، كما عتمت أسماء الشوارع والأحياء الحديثة على كل ما سبقها إلى الدرجة التي يحتاج فيها الزائر إلى مرشد ليستدل إلى منزل قريب أو صديق أو مؤسسة أو مستشفى في أحد أحياء المدينة المتسعة الأرجاء.

كان نمو المدينة يتم وفق وتيرة متسارعة، وأصبحت الرياض مركز استقطاب عالمي، سياسي واقتصادي وتجاري، تعقد فيها اللقاءات والمؤتمرات والندوات، ويتقافز عدد سكانها بين سنة وأخرى، ففيما كانت إحصائية فيلبي أوائل القرن تشير إلى ١٥٠٠٠ نسمة، بلغت بداية السبعينيات حوالي ٧٠٠ ألف نسمة، مما أوجب تشكيل هيئة عليا لتطوير مدينة الرياض، تألفت من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض رئيساً،



جانب من الحي الدبلوماسي في الرياض

وصاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبدالعزيز وكيل إمارة الرياض، نائباً للرئيس، وسعادة الشيخ عبدالعزيز الثنيان، أمين مدينة الرياض السابق عضواً وأميناً عاماً للهيئة، وتم التعاقد مع شركة «دوكسيادس» الاستشارية، للقيام بإعداد مخططات مفصلة لتنظيم المدينة وتحديد احتياجاتها من المرافق العامة، وتقسيم الأراضي وتوفير الخدمات للسكان، وتخطيط الشوارع والساحات العامة، ووضعت خطة عشرينية لتطوير الرياض موزعة على فترات، كل منها خمس سنوات.

ويُذكر أن الهيئة أعدت دراسات ديموغرافية ومساحية لمدينة الرياض خلال السنوات الأخيرة

تنهض مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية التي أنشئت عام ١٣٩٧هـ بدور رائد في مجال مساندة البحوث والاستشارات العلمية في مجالات الهندسة والطب والصناعة والعلوم البحتة، وتصدر مطبوعات علمية منتظمة

بهدف تأسيس قاعدة معلومات مفصلة عن سكان الرياض، تشمل مناطق الكثافة السكانية فيها، وحجم العمالة الأجنبية، والقدرات المعيشية المتباينة للسكان، والدخل العام. وتنبع أهمية هذه الدراسات أيضاً من واقع أن مدينة الرياض اليوم هي أكبر مدن المملكة، ومعدلات النمو فيها من أسرع معدلات النمو العالمية، كما أن الهجرة من القرى ومدن المملكة الصغيرة إلى الرياض للعلم والعمل، قد جعل من الرياض مدينة شديدة الاتساع، وهو ما أدى إلى اندثار كثير من الآثار والمعالم المعمارية الأساس فيها.

معالم اليوم

رغم الصعوبة التي تكتنف الحديث عن كل معالم المدينة ومظاهرها وخصائصها، فإننا سنضيف إلى بعض المعالم التاريخية، التي تحدثنا عنها آنفا معالم حضارية وعلمية ومعمارية تستوقف زائر هذه المدينة المتجددة.

هناك الحي الدبلوماسي، الذي أقيم بطرزه المعمارية المميزة على هضبة تشرف على مدينة الرياض، وعلى وادي حنيفة المعروف. وتثير التشكيلات الطبوغرافية الأرضية لموقع الحي الإعجاب. ويضم حوالي ثمانين سفارة، ومناطق سكنية وخدمية. كما تنهض مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية التي أنشئت عام ١٣٩٧هـ بدور رائد في مجال مساندة البحوث والاستشارات العلمية في مجالات الهندسة والطب والصناعة والعلوم البحتة، وتصدر مجلات وكتباً علمية منتظمة.

ويشغل مطار الملك خالد الدولي بنمطه المعماري الفريد مساحة ٣٠٠ كيلو متر مربع شمال مدينة الرياض، وصمم وفقاً لأحدث مفاهيم تخطيط المطارات وتصميمها ليحتضن ألوف المسافرين والزائرين.

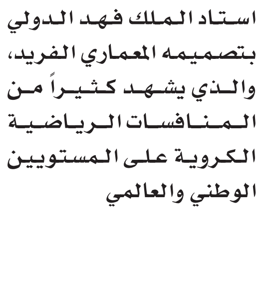
وتعد «مصفاة أرامكو السعودية في الرياض» أحد المشروعات الحيوية التي أقيمت على بعد ٢٥ كيلومتراً من مدينة الرياض، لسد احتياجات المنطقة الوسطى من البترول والكيروسين وغاز البترول السائل ووقود النفاثات والديزل والأسفلت وغيرها.

وفي الرياض جامعتان هما: جامعة الملك سعود، وهي أول وأعرق جامعة سعودية، فقد أنشئت عام١٩٥٧م، ويزيد عدد طلابها على ٣٠ ألف طالب وطالبة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التي أنشئت عام ١٩٧٤م، وعدد طلابها قرابة ٢٠ ألف طالب وطالبة، وعدد من المعاهد المتخصصة ومراكز البحوث يبرز من بينها معهد الإدارة العامة، الذي تأسس عام ١٩٦٠م للنهوض بمستوى العمل الإداري بالبلاد، ومؤسسة الملك فيصل الخيرية التي تقدم المنح للباحثين والدارسين في ألوان المعرفة المختلفة، وتمنح جائزة الملك فيصل العالمية سنوياً لعدد من النابغين في حقول الدراسات الإسلامية والأدب العربي.

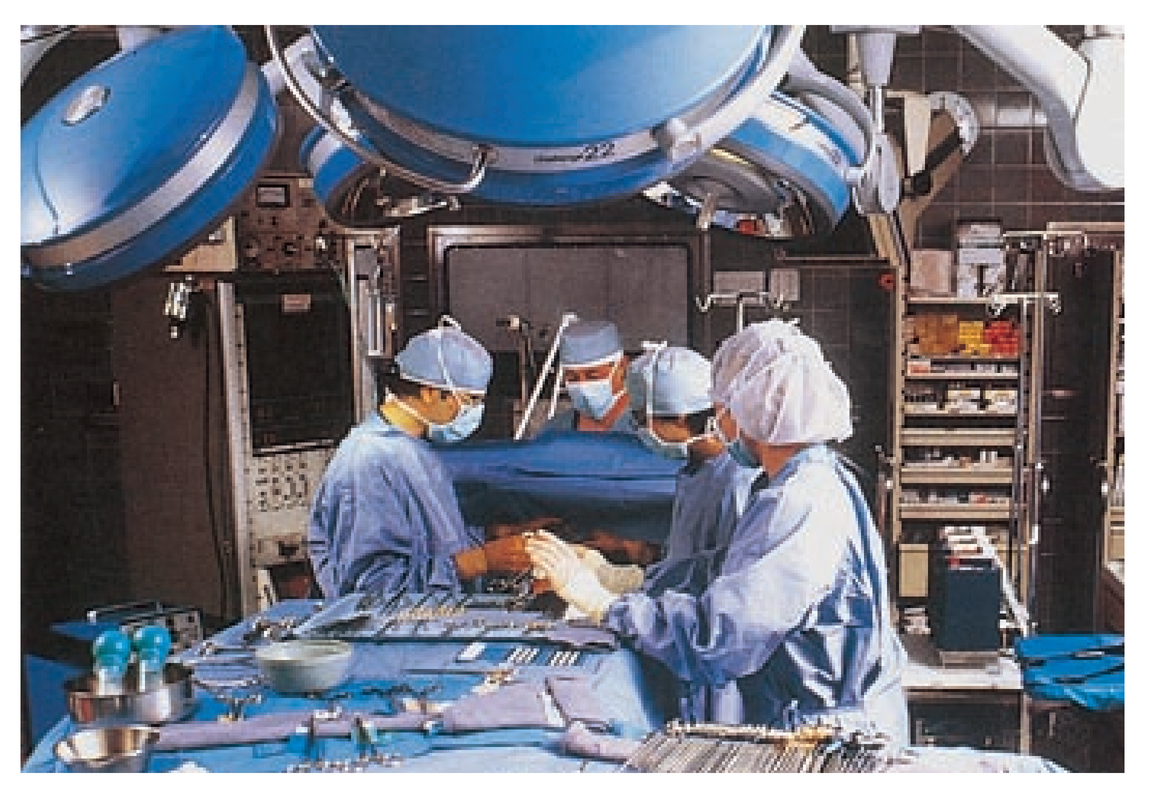
وتحتضن الرياض مكتبات مهمة تجمع خلاصة المعارف والثقافات الإنسانية الماضية والحاضرة، كما تجمع كل الآثار المكتوبة والمخطوطة وأشكال التعبير والتراث الشفاهي في المملكة وهي : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة معهد الإدارة، ومكتبة دارة الملك عبد العزيز، ومكتبات جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية.

كما تقوم في الرياض صروح طبية عرفت بتطبيقاتها الحديثة لآخر تقنيات الكشف والمعالجة الطبية، وهي: مستشفى الملك فيصل التخصصي، والمستشفى العسكري التابع للحرس الوطني، ومستشفى الملك خالد لطب العيون، ومدينة الملك فهد الطبية التي أضافت للرعاية الطبية في المملكة لبنة جديدة.

وعلى أطراف الرياض ينتصب صرح رياضي أخاذ هو استاد الملك فهد الدولي، الذي يتميز بروعة التصميم المعماري، والسعة التي جعلته يستوعب حوالي ٧٠ ألف مشاهد، وتعقد فيه الدورات الرياضية الإقليمية والعالمية. وتحتضن الرياض اليوم «المهرجان الوطني للثقافة والتراث»، الذي يرعاه الحرس الوطني وينطلق فوق أرض الجنادرية (٤٥كيلومتراً شمال شرقي الرياض)، مشتملاً على أسواق شعبية تعرض الصناعات والحرف اليدوية القديمة، وعروض شعبية وتشكيلية، ومحاضرات ثقافية، وأمسيات شعرية وفكرية



استاد الملك فهد الدولي بتصميمه المعماري الفريد، والذي يشهد كثيراً من المنافسات الرياضية الكروية على المستويين الوطني والعالمي



مستشفى الملك فيصل التخصصي، أحد المراكز الطبية المتقدمة في المملكة



صورة حديثة لقصر المصمك من الخارج بعد ترميمه، وفتحه للزوار

يشارك فيها مفكرون وأدباء وعلماء ومثقفون من مختلف الأقطار العربية.

أما الأماكن الترويحية في الرياض فأهمها: حديقة الحيوان الواقعة على شارع الأحساء في حي الملز، وقد صممت من حيث التهوية والتكييف والمسطحات الخضر بحيث تلائم البيئة الطبيعية للحيوانات الموجودة فيها، خاصة النادرة مثل غزال الوضيحي والمها. وهناك حديقتان أخريان هما حديقة الفوطة الواقعة على شارع الأمير فيصل بن تركي، وحديقة أبو مخروق في الملز، وهي المكان الذي كان يتنزه فيه جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله. كما توجد متنزهات مثل متنزه السويدي، جنوب غربي الرياض، ومتنزه العليا في حي العليا، الذي يعد مكاناً هادئاً للاستجمام والتنزه. وتجدر الإشارة إلى أن تشجير وتخضير الرياض لم يكن سهلاً، إذ أن تحويل مدينة تقع في محيط صحراوي قاس يصل عمقه إلى ألف كيلو متر إلى مدينة خضراء كان تحدياً شاقاً، فالرياض القديمة كانت تعتمد على الآبار الجوفية السطحية، أما اليوم بعد أن توسعت مساحة المدينة، وزاد عدد سكانها على ٣ر٥ مليون نسمة، فلم يعد أمام الدولة سوى اللجوء إلى مياه البحر المحلاة لسقيا السكان، والاستفادة من مياه الصرف الصحي المعالجة في ري المناطق الزراعية داخل الرياض وحولها .

وجاء تخطيط مدينة الرياض مراعياً لمبدأ عدم مركزية الخدمات، وسهولة الحركة في الشوارع، وتوازن الكثافة السكانية في أحيائها، لتجنيب الرياض ما عانته المدن الكبرى في العالم من جوانب نقص في الإسكان والمرافق والخدمات الكهربائية والهاتفية، ومستويات النظافة. وعلى ضوء ذلك استحدث قسم لدراسات المدن الكبرى مهمته دراسة مشكلات تلك المدن ومحاولة تلافيها في الرياض، وله اتصال دائم بالمعاهد والمراكز المتخصصة كمنظمة المدن الكبرى (متروبولس)، ومشروع المدن الكبرى في جامعة نيويورك.



أصبح مهرجان الجنادرية جزءاً لايتجزأ من حياة الرياض الثقافية، بما يوحيه للأجيال المعاصرة من دلالات عن أوجه وصور الحياة في الماضي



جامعة الملك سعود، إحدى أعرق قلاع العلم والمعرفة في الرياض

من عبق التاريخ

عندما يطوف المرء بالسيارة عبر شوارع الرياض، وعبر أحيائها، وساحاتها، محاولاً تدوين بعض ملامح نموها الاجتماعي والمعماري والاقتصادي، يرتسم أمام عينيه شريط من الخيالات والانطباعات بعضها يأتي من الزمن الماضي البعيد، وبعضها خلفته القراءة المكثفة لما خطه يراع الرحالة والمستكشفين العرب والأجانب، خلال قرن عن الجزيرة العربية، عن الصراع السياسي فيها، وعن الصراعات الأجنبية عليها، وعن المعارك والدماء التي سالت فوقها، ثم التضحيات التي قدمها الأجداد وأوصلت هذه الأرض الطيبة إلى مظلة التوحيد التي قاد مسيرتها جلالة الملك عبدالعزيز، رحمه الله.

ومن الزمن البعيد تأتي نفحات الشعر، وسير الشعراء الجاهليين، وتنقلهم عبر ذرى اليمامة، وبين بطاحها ومناهلها،يرثون بعضهم، ويهجون أعداءهم، يشببون بالنساء فتنبذهم القبيلة، ويهيمون في الصحراء، فلا تزيدهم المفازات إلا ولعاً بالشعر، وافتتاناً بالأنثى، وشجاعة في الإقدام والمنازلة. في هذه الأنحاء عبر عنترة، والأعشى، والشعراء الصعاليك، وعمرو بن كلثوم، وميمون بن قيس، ورؤبة بن العجاج، وجرير، وغيرهم. وفي مكان قديم طمره اليوم شارع أو مبنى أو مصنع، وقف الأعشى ذات يوم يصف حبيبته:

كأنّ مشيتها من بيت جارتها
مرّ السّحابة لا ريث ولا عَجَلُ
تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجلُ

عبق التاريخ يضفي على مدينة الرياض، وهي تحتفل بكونها العاصمة الثقافية العربية لعام ٢٠٠٠م، مزيداً من السحر والعبق التاريخي، والثقة بالعبور إلى القرن الحادي والعشرين

ليست كمن يكره الجيران طلعتها
ولا تراها لسر الجار تختتلُ
يكاد يصرعها لولا تشدّدها
إذا تقوم إلى جاراتها الكسلُ

أما من الزمن القريب فتنثال صور الرحالة والمستكشفين والسياسيين الذين جابوا الجزيرة من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، مشياً على الأقدام فوق الرمال اللاسعة، أو محمولين فوق ظهور الإبل، يقتلهم العطش والمرض والوحشة، ويصبحون طرفاً في نزاعات القبائل.

ما الذي يدفع المقيم السياسي لحكومة ملكة بريطانيا في الخليج، لويس بلي، عام ١٨٦٥م، إلى الذهاب إلى الرياض، ليعقد معاهدة مع الأمير فيصل ابن تركي، في ذلك الزمن الذي تقاس فيه المسافة بين مناطق الجزيرة بالأيام؟ وما الذي يحمل المعتمد البريطاني وليام شكسبير على التعرض لنيران مدافع ابن رشيد في حربه مع الملك عبدالعزيز ليسقط قتيلاً في جراب عام١٩١٥م؟ وكيف قضى عبدالله فلبي، إثر قدومه للرياض في ١٧ اكتوبر ١٩١٥م، ما ينيف عن أربعة عقود، باحثاً ومدققاً في كل أحوال سكان الجزيرة وأنماط عيشهم، وواصفاً جغرافية البلاد وخصائصها الجيولوجية وملامحها الخاصة؟ وكيف تكبَّد الرحالة والمؤرخ الشهير أمين الريحاني المشاق الصعبة ليكتب كتبه المرجعية عن قلب جزيرة العرب، وفصول كتابه الممتع «ملوك العرب»؟ وكيف اقتحم المصورون الأوائل أمثال: الألماني كارل رسوان، والبريطاني جورج ريندل، والبريطانية غيرترود بيل، والبولندي محمد ليبولد فايس، وأيضاً فلبي وشيكسبير، بمعداتهم البسيطة، الحواجز ليلتقطوا صوراً نادرة، أصبحت فيما بعد تاريخاً مصوراً لمظاهر الحياة الصعبة، وسبل العيش القاسي التي اكتنفت سكان الجزيرة عشرات السنين؟

مثل هذه الأسئلة وغيرها تضفي على مدينة الرياض، وهي تحتفل بكونها العاصمة الثقافية العربية لعام٢٠٠٠ م، مزيداً من السحر والعبق التاريخي، والثقة بالعبور إلى القرن الحادي والعشرين. ■

* صور الموضوع : أرامكو السعودية

الرياض

تزهو بمكتبة الملك فهد الوطنية

بقلم : سعد الزهري

أنشئت مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض عام ١٤١٠ هـ بمرسوم ملكي كريم، لتحقيق جملة من الأهداف التي تشمل حفظ جميع ما يتم نشره داخل المملكة، وكل ما ينشره أبناؤها في الخارج، وكذلك كل ما يُنشر عن المملكة في الخارج، بالإضافة إلى ما يتم إعداده من الموضوعات الحيوية ذات الصبغة الفكرية أو العلمية، وكل ما يساعد على دراسة الحضارة الإنسانية، ويشمل ذلك كتب التراث والمخطوطات وما له علاقة بالحضارة العربية والإسلامية بشكل خاص.

كما تضطلع المكتبة من ناحية الوظائف التنظيمية بمسؤوليات الإيداع النظامي وما يتضمنه من تسجيل وترقيمات، وإصدار ببليوجرافيا وطنية وما إلى ذلك من أمور متعلقة بشؤون المكتبات في المملكة.



تتميز مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض بشكلها المعماري الفريد الذي أضفى عليها مسحة جمالية خاصة

تضطلع المكتبة بمهام تسجيل المطبوعات وإصدار أرقام خاصة للكتب والدوريات، يسمى الأول بالرقم الدولي المعياري للكتب ردمك (ISBN) فيما يسمى الآخر الرقم الدولي المعياري للدوريات (ISSN)

تقع مكتبة الملك فهد الوطنية في قلب مدينة الرياض، بحي العليّا، بمبنى لا تخطئه العين، صمم على شكل هندسي رائع تعلوه قبة ذهبية اللون، مما أكسبه مسحة جمالية خاصة. ويتكون المبنى من أربعة طوابق، وله مدخل رئيس على طريق الملك فهد، ومدخل داخلي خاص بالرواد.

المجموعات

تجاوز إجمالي مقتنيات المكتبة نصف مليون مادة، منها المطبوع ومنها المخطوط والمصغرات والمسكوكات والمواد السمعية البصرية وأقراص الليزر. وتم الحصول على هذه المقتنيات عن طريق الشراء والإيداع والإهداء والتبادل أو بواسطة التصوير من الأفراد أو المكتبات الأخرى، وهناك حوالي مائة ألف مادة متعلقة بالمملكة، وحوالي أربعين ألف مادة من الإنتاج الفكري السعودي بجميع اللغات، وهي أكبر مجموعة من الإصدارات السعودية التي يمكن العثور عليها في أية مكتبة. ويبلغ عدد المسكوكات العربية والإسلامية في المكتبة أكثر من ٢٣٠٠٠ مسكوكة، فيما يبلغ عدد الرسائل الجامعية التي أعدها طلبة سعوديون أكثر من ١٤٠٠٠ رسالة. كما يتجاوز عدد المخطوطات والنوادر ثلاثة آلاف مادة أصلية، مقارنة بمصورات المخطوطات والكتب النادرة التي تبلغ ٢٧٠٠٠ مادة من أهمها مخطوطات جامعة برنستون الأمريكية، التي أصبحت متاحة للباحثين في المملكة.

ومن أهم ما حصلت عليه المكتبة، مؤخراً، وثائق «قصر ثليم» التي ضُمت عام ١٤١٧هـ لتدعم مقتنيات المكتبة بما يقرب من مليون وثيقة محلية لها صلة بتاريخ المملكة. وتقتني المكتبة حوالي ٨٥٠٠٠ مادة من الطوابع والخرائط والصور الفوتوغرافية القديمة والحديثة الخاصة بالمملكة، إضافة إلى بقية أوعية المعلومات الحديثة والمواد السمعبصرية التي تتجاوز ١٧٠٠٠ مادة في فروع المعرفة، بمختلف اللغات الأجنبية. كما تحوي الدوريات الحديثة على شكلها التقليدي (الورقي)، وعلى أقراص الليزر، ويبلغ عددها أكثر من ثلاثة آلاف دورية، إضافة إلى معظم الدوريات والصحف السعودية والعربية القديمة والحديثة. وتسعى المكتبة جاهدة إلى تتبع الإنتاج



اهتمام المكتبة بالكتب التي تحتاج إلى عناية خاصة، جعلها من أغنى المكتبات بما تحويه من مصادر المعرفة



يستطيع الباحثون استعارة ما يحتاجون إليه، بعد الحصول على بطاقة العضوية الخاصة بالمكتبة

الفكري السعودي القديم والحديث والحصول عليه بشتى الوسائل، إلى جانب جمع كل ما ينشر عن المملكة في الخارج، إذ تتصل المكتبة بجميع الجهات المحلية والخارجية للحصول على المطبوعات التي تلائم أهدافها. وتدير المكتبة برنامجاً ضخماً ونشطاً للتزود بالمطبوعات، حيث تصل معدل الإضافات السنوية حوالي أربعين ألف مادة.

نظام الإيداع

يُعد نظام الإيداع، الصادر بالمرسوم الملكي (م/٢٦) في ١٤١٢/٩/٧هـ، م، أهم منجزات المكتبة ومنذ بدأت المكتبة في تطبيقه عام ١٤١٤هـ، قامت بتسجيل كل ما ينشر داخل المملكة من مصادر المعلومات مع تثبيت رقم الإيداع عليها قبل نشرها. وتقوم المكتبة بتسجيل وإيداع حوالي أربعة آلاف كتاب سعودي سنوياً. وقد بلغ إجمالي ما أودع حتى نهاية عام ١٤١٧ هـ أكثر من ٢٢٤٠٠ مادة شملت الكتب والدوريات والرسائل الجامعية، والخرائط، والطوابع وغيرها مما ينطبق عليه نظام الإيداع.

أما فيما يتعلق بالإيداع الخاص بالكتب القديمة، فللمكتبة جهود في مراسلة أكثر من خمسمائة من كبار المسؤولين والمؤلفين السعوديين للحصول على مؤلفاتهم التي ليست متوافرة في المكتبة أو في السوق. وقد وجدت المكتبة تجاوباً طيباً أثمر أكثر من ألف كتاب من المؤلفات السعودية القيمة، الأمر الذي أثرى المكتبة بحصيلة ستكون لها آثارها الإيجابية في مجالات البحث والضبط الببليوجرافي، ناهيك عن توفر تلك الكتب كأدوات مرجعية للمستقبل والتاريخ.

الترقيمات الدولية

تضطلع المكتبة بمهام تسجيل المطبوعات وإصدار أرقام خاصة للكتب والدوريات، يسمى الأول بالرقم الدولي المعياري للكتب (ردمك ISBN) فيما يسمى الآخر الرقم الدولي المعياري للدوريات (ISSN). وتتضمن هذه المسؤوليات كافة وسائل وأوعية المعلومات الأخرى مثل برامج الحاسوب والكتيبات والأدلة وخلافها. كما تشمل متابعة فهرسة

يبلغ عدد المسكوكات العربية والإسلامية في المكتبة أكثر من ٢٣٠٠٠ مسكوكة، فيما يبلغ عدد الرسائل الجامعية التي أعدها طلبة سعوديون أكثر من ١٤٠٠٠ رسالة

وتصنيف الكتب (التي تعدها إدارة الفهرسة والتصنيف) وإعداد وطباعة بطاقة الفهرسة أثناء النشر على ظهر صفحة العنوان.

وتجدر الإشارة إلى أن الأرقام المعيارية المذكورة، فيها جزء يشير إلى المملكة، كدولة تمت عملية النشر فيها، وجزء يشير للناشر، وآخر يشير إلى تسلسل الكتاب أو وعاء النشر لدى الناشر. وقد زاد مجموع ما تم تسجيله إلى الآن على ١٦٥٠٠ وعاء معلومات تشمل الكتب والدوريات والخرائط واللوحات والمواد السمعبصرية وبرامج الحاسوب.

التصنيف والفهرسة

يعد التصنيف من أهم ما تقوم به المكتبات، على المستوى الفني، في معالجتها للكتب وأوعية المعلومات الأخرى. والتصنيف يعني أن نرتب المعرفة البشرية ترتيباً منطقياً، بحيث يتجاور كل علم مع أكثر العلوم التصاقاً به. ونظراً لأن العلوم البشرية متداخلة فإن المصنف يضطلع بمسؤولية تحديد أكثر الأماكن مناسبة ومواءمة للكتاب. فعلم النفس، على سبيل المثال، له علاقة بالطب وله أيضاً علاقة بالعلوم الاجتماعية. وكتب الكيمياء الحيوية لها علاقة بالكيمياء وبالأحياء، وهكذا.

وعليه فإن التصنيف يهتم بتحديد رقم معين، في تصنيف ديوي مثلاً، للتسهيل على مستخدمي المكتبة عند محاولتهم الوصول للكتاب المقصود. وعليه فإن التصنيف يعني أن المصنف يصف محتوى الكتاب من خلال تخصيص ذلك الرقم له.

أما الفهرسة فتقوم بإعداد الوصف المادي للكتاب الذي يشمل (عدد صفحاته واسم مؤلفه، واسم الناشر، وحجم الكتاب.. الخ) وبعض المكتبات التي تستخدم نظام (ديوي العشري) تعطي رقماً للتصنيف وتحته ثلاثة أحرف (الأول من الاسم الأخير للمؤلف عادة) ويسمى ذلك برقم الطلب.

منشورات المكتبة

أخذت المكتبة على عاتقها أن تقوم بنشر الكتب في مجالات المكتبات والمعلومات وتاريخ المملكة لإدراكها لفقر المكتبة العربية للمؤلفات عن الموضوع الأول وللأهمية البالغة الذي يحظى بها الثاني في حياتنا العامة.

وهناك ثلاث سلاسل تقوم المكتبة بالنشر خلالها، صدر أول كتاب فيها عام ١٤٠٨ هـ وهي:

- السلسلة الأولى: وتهتم بنشر الدراسات التي تتعلق بتطوير المكتبات والمعلومات في المملكة وصدر منها أكثر من أربعة وعشرين كتاباً.
- السلسلة الثانية: وتُعنى بنشر الدراسات والبحوث في إطار علم المكتبات والمعلومات بشكل عام وقد صدر منها أكثر من واحد وثلاثين كتاباً.



تهتم المكتبة بالتقارير والمطبوعات الحكومية والرسمية كمصدر متميز للمعلومات



ـ السلسلة الثالثة: تختص بنشر الببليوجرافيات والكشافات والفهارس وصدر منها حتى الآن أكثر من اثنين وثلاثين كتاباً.

وتنشر المكتبة كتباً متفرقة كذلك خارج هذه السلاسل الثلاث.

المخطوطات والمسكوكات

بلغت محتويات المكتبة من المخطوطات الأصلية أكثر من ٣٠٠٠ مخطوط فيما بلغت المخطوطات المصورة (على المايكروفلم والمايكروفيش) أكثر من ١٣٠٠٠ مخطوط. كما تحتفظ المكتبة بالعديد من المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية والبرونزية يصل عددها إلى ٢٢٤٢٢ قطعة، مما يهيئ للباحثين فرصاً جيدة للغوص في غمارها وإبراز دور الحضارة الإسلامية من خلال دراستها وتحليلها.

مركز معلومات المملكة

خصصت المكتبة هذا المركز ليجمع فيه كل ما يتعلق بالمملكة من صور ولوحات فنية وكتب عربية وأجنبية وشرائح وخرائط وأطالس وأشرطة فيديو وعملات معدنية وورقية وطوابع بريدية ووثائق ونشرات وما إلى ذلك. كما يوجد فيه مجلد خاص مصنوع من جلد الغزال عن حياة الملك عبدالعزيز، رحمه الله، يحوي ٥٨ لوحة مصغرة، وقد طبع منه ١٠٠٠ نسخة وهو مسجل بتاريخ ١٢٩٨ ـ ١٣٧٣ هـ، ويحوي المركز أيضاً أكثر من ٢٢٠٠٠ صورة، وأكثر من عشرين لوحة زيتية للملك عبدالعزيز، رحمه الله، وغير ذلك مما له علاقة بتاريخ وحاضر المملكة.

خاتمة

لقد استطاعت مكتبة الملك فهد الوطنية خلال فترة وجيزة أن تحقق منجزات عديدة سواء بجمع التراث الفكري الوطني أم بتنظيم صدور المطبوعات والتزامها بالأرقام المعيارية، والتزام الناشرين بإجراءات الإيداع النظامي لديها. ولا شك أنها سوف تحقق إن شاء الله المزيد في المستقبل في مشوارها الطويل لرصد الحركة الثقافية والعلمية في البلاد. ■

* صور الموضوع: أرامكو السعودية

تأخذ مكتبة الملك فهد على عاتقها مهمة تسجيل وإيداع ونشر الكتب والمطبوعات ذات الصبغة الفكرية أو العلمية، بما في ذلك الكتب التراثية والمخطوطات

المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز، نائب وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، يلقي كلمة في حفل الافتتاح وإلى جواره صاحب السمو الأمير فهد بن عبدالله بن محمد، مساعد وزير الدفاع والطيران والمفتش العام لشؤون الطيران المدني

بقلم: محمد عبدالقادر الفقي*

الإنسان والبيئة في نظر الإسلام صنوان، وهما وجهان لعملة واحدة تتحقق بهما حياة الإنسان وكيانه المادي في كل مظاهر الحياة. ولهذا، كان من الضروري - من وجهة النظر الإسلامية - المحافظة على هذا التوازن والتواؤم بين الإنسان وبيئته الطبيعية التي يعيش فيها، وأن يتحمل كل فرد فينا أمانة المسؤولية في خلافته الشرعية ليسهم في عمارة الأرض ويسعى فيها بالإصلاح والخير، ويحافظ على التوازن الطبيعي في الكون.

* كاتب وباحث مصري

وانطلاقاً من هذه الرؤية الصائبة للعلاقة بين الإنسان والبيئة، عُقد المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، خلال الفترة من ٢٦ إلى ٢٨ من رجب لعام ١٤٢١هـ الموافق ٢٣ إلى ٢٥ أكتوبر لعام ٢٠٠٠م تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبد الرحمن بن عبدالعزيز آل سعود، نائب وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، ورئيس اللجنة الوزارية للبيئة، وبمشاركة عدد كبير من علماء البيئة وخبرائها والفقهاء وممثلي المنظمات الدولية المتخصصة في مجال حماية الحياة الفطرية والحفاظ على البيئة.

وقد نظمت المنتدى مصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالمملكة بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (اليونيب). وشارك في دعم المنتدى كل من البنك الإسلامي للتنمية، والهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والهيئة الإقليمية للمحافظة على بيئة البحر الأحمر وخليج عدن، والغرفة التجارية الصناعية بجدة، والمنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية.

وقد استهدف المنتدى تأصيل المفهوم الإسلامي للبيئة وتوضيحه، والتأكيد على أن قواعد الدين الإسلامي وأحكامه تسعى لإسعاد الإنسان والمحافظة على صحته وسلامته وحماية بيئته وتحقيق التوازن فيها، وتتسع مجالات تطبيقها لتشمل كل ما يواجه الإنسان والبيئة من قضايا ومشكلات في حاضره ومستقبله. كما استهدف إيضاح موقف الإسلام من قضايا البيئة المعاصرة، وتسليط الضوء على الحلول العملية التي تعالج هذه القضايا دون تعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، إلى جانب إتاحة الفرصة لعلماء الفقه الإسلامي البارزين وعلماء البيئة المتخصصين للتحاور والنقاش وتبادل الآراء والوصول إلى رؤية جماعية مشتركة حول أفضل السبل الكفيلة بمواجهة التحديات البيئية التي تهدد دول العالم بصفة عامة وبلدان العالم الإسلامي بصفة خاصة.

كلمات حفل الافتتاح

افتتح المنتدى بتلاوة القرآن الكريم، ثم كلمة ترحيبية بالضيوف والمشاركين في المنتدى ألقاها سعادة الدكتور نزار بن إبراهيم توفيق، رئيس عام مصلحة الأرصاد وحماية البيئة، أمين عام اللجنة الوزارية للبيئة والمشرف العام على المنتدى، وتلتها كلمة المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة الدكتور كلاوس توبغر التي ركز فيها على أهمية الاستفادة من الإرث الروحي والقيم التي أقرها الإسلام والأديان الأخرى في التعامل مع البيئة، وأعقبت ذلك كلمة دولة الرئاسة في منظمة

استهدف المنتدى تأصيل المفهوم الإسلامي للبيئة وتوضيحه، والتأكيد على أن قواعد الدين الإسلامي وأحكامه تسعى لإسعاد الإنسان والمحافظة على صحته وسلامته وحماية بيئته وتحقيق التوازن فيها



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز يتفقد المعرض البيئي الذي أقيم على هامش المنتدى، يرافقه الدكتور، عبدالعزيز أبو زنادة، أمين عام الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها

المنصة الرئيسة للمنتدى أثناء انعقاد الجلسة العلمية الأولى. ويظهر من اليمين إلى اليسار: د. حسام جمعة، د. وقار الحسيني، د. عبدالله ابن عيدروس البار، د. عمر ابن حسن فلاتة، فضيلة الشيخ د. نصر فريد واصل





نظراً لأن التنمية البيئية في نظر الإسلام لا تتحقق إلا مع التنمية البشرية، جنباً إلى جنب في إطار واحد متكامل، فقد حرص الإسلام في كل تشريعاته على تكليف العباد بالمحافظة على التوازن البيئي، وجعل ذلك عقيدة إسلامية وعبادة دينية لا يصح إغفالها حتى في حالات الحرب

المؤتمر الإسلامي ألقتها الدكتورة معصومة ابتكار، نائب رئيس الجمهورية ورئيس هيئة حماية البيئة بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، والتي أشارت فيها إلى أن الإسلام أرسى منذ حوالي خمسة عشر قرناً قواعد المفاهيم البيئية المختلفة وعلاقة الإنسان مع البيئة، سابقاً بذلك كل المفاهيم البيئية المعاصرة. ثم ألقى المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الدكتور عبدالعزيز التويجري، كلمة تطرق فيها إلى جهود المنظمة في سلامة مناهج البيئة ودورها في دعم البحوث التي تُعنى بمعالجة القضايا البيئية من منظور إسلامي، ثم كانت كلمة راعي المنتدى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز نائب وزير الدفاع والطيران والمفتش العام التي دعا فيها للالتزام بتعاليم الإسلام لتحقيق المحافظة على البيئة، وأن نعمل على شرح هذه التعاليم للعالم ومعتنقي الأديان الأخرى. فالمسلم يعبد الله عن طريق الإحسان إلى مكونات البيئة وعدم الإفساد في الأرض. وقد قام سموه بعد ذلك بافتتاح المعرض المصاحب لفاعليات المنتدى الذي عرضت فيه المنظمات والهيئات الإقليمية والدولية المتخصصة بعض أنشطتها وبرامجها وإنجازاتها، ومن هذه الهيئات: مصلحة الأرصاد وحماية البيئة، والهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، والخطوط الجوية العربية السعودية، ومنظمة الصحة العالمية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، والمنظمة العالمية للأغذية والزراعة (الفاو)، والمؤسسة الإسلامية للطبيعة وعلوم البيئة، وشركة مارس لتقنية المعلومات.

وأعقب ذلك بدء الجلسات العلمية للمنتدى التي شارك فيها لفيف من العلماء والخبراء والفقهاء، كان من بينهم معالي الدكتور محمد عبده يماني، وفضيلة الشيخ مختار السلامي مفتي تونس السابق، ومعالي الدكتور عبدالله نصيف، ومعالي الدكتور عبدالرحمن العوضي، ومعالي الدكتور أحمد محمد علي، وفضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، وفضيلة الشيخ الدكتور نصر فريد واصل، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور زياد أبو غرارة، والدكتور عيسى الحرتاني، والدكتور عبدالإله عبدالعزيز باناجة، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن حميد، وغيرهم.

أسس التنمية في الإسلام

كان عنوان البحث الأول الذي قدم في المنتدى هو (العلاقة بين البيئة والتنمية من المنظور الإسلامي)، للدكتور عبدالله بن عيدروس البار. وقد أبرز هذا

البحث كثيراً من الأحكام العملية التطبيقية، المتوائمة مع نظم الشريعة الإسلامية، في مجال شؤون التنمية البيئية والبشرية. وأوضح أسس التنمية والعمارة الإسلامية ضمن قواعد وضوابط وأحكام عامة شرعية حصرها في أمور ستة هي:

- ضرورة النظر إلى عمارة الأرض على أنها نوع من العبادة التي كُلف بها الإنسان في الإسلام.
- تنمية الأرض وعمارتها تتطلب التخطيط الدقيق. ومتابعة تنفيذ هذا التخطيط من أهم واجبات ولاة الأمر في المجتمع لنجاح استمرار التنمية البيئية المنشودة في عمارة الكون.
- تقديس العلم والنظر إليه على أنه من الأمور الضرورية والاجتماعية للتنمية البيئية والبشرية، فالعلماء في مجال التنمية البيئية والبشرية وعمارة الكون في ظل عقيدة الإسلام وشريعته العملية هم ورثة الأنبياء في كل زمان ومكان.
- العمل والإنفاق لتحقيق العمارة الكونية هو من الفروض الدينية التي يجوز التكليف بها بحسب حال المكلف ومقامه.
- اتخاذ كل الوسائل المشروعة لمنع الضرر والإضرار عن الإنسان وعن البيئة التي يعيش فيها، وذلك بتحريم كل ما يضر بها وتجريمه، والعمل على تلافي آثار الضرر عند وقوعه بكل السبل المتاحة في جميع الأحوال، لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ٨٥].
- التوفيق بين أهداف ووسائل التنمية البيئية والبشرية وبين دوافع الإنسان الفطرية، والعمل على تهذيب هذه الدوافع واستثمارها لتحقيق أكبر قدر من التنمية وعمارة الكون في إطار قيم الإسلام العقائدية والأخلاقية والتشريعية التي تمنع العامل من الإضرار بنفسه وبالآخرين.

التنمية البشرية والتنمية البيئية

وقد عقّب فضيلة الشيخ الدكتور نصر فريد واصل على هذا البحث. وجاء في تعقيبه: «يجب الربط التام والكامل بين التنمية البيئية والتنمية البشرية في جميع مجالات التخطيط والتشريع والتنفيذ والتطبيق على حد سواء، لأن عمارة الكون لا تتحقق بدون التنمية البشرية، وهذا أمر مجزوم به عقيدةً وشريعةً في نظر الإسلام بقوله تعالى: ﴿ **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ [هود: ٦١] وقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [فاطر: ٣٩].

ونظراً لأن التنمية البيئية في نظر الإسلام لا تتحقق إلا مع التنمية البشرية، جنباً إلى جنب في إطار واحد متكامل، فقد حرص الإسلام في كل تشريعاته على تكليف العباد بالمحافظة على التوازن البيئي، وجعل ذلك عقيدة إسلامية وعبادة دينية لا يصح إغفالها حتى في حالات الحرب، واعتبر الإخلال بهذا التوازن مفسدة دينية ودنيوية لأن ذلك يتعارض مع شروط استخلاف الإنسان في الأرض.

ولتحقيق هذا الهدف العام (وهو التنمية البيئية والبشرية) فقد راعى الإسلام في تشريعه ضرورة المحافظة على الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وهي الكليات الخمس الضرورية للحياة الاجتماعية والبيئية في نظر الإسلام في أي زمان وفي أي مكان من العالم. وجميع هذه الكليات متداخلة بعضها ببعض ومتلازمة مع الإنسان تلازم الروح مع الجسد. وبدون المحافظة عليها لا تعمّر الأرض ولاتتحقق الخلافة الشرعية التي أرادها الله للإنسان بقوله للملائكة: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة: ٣٠].



الدكتور نزار بن إبراهيم توفيق، يرحب بالضيوف والمشاركين في المنتدى

ركائز المحافظة على البيئة في الإسلام

ارتكز البحث الثاني الذي قُدم للمنتدى على الأحكام الشرعية وقوانين البيئة في الإسلام. وذكر فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، صاحب هذا البحث أن كل ما في البيئة من مكونات مسخر للإنسان، وعليه أن يتعامل معها بما لا يجافي سنن الله في خلقه ولا أحكام الله في شرعه، فيأخذ منها ويعطيها، ويرعى لها حقها لتؤتي له حقه. ويتضمن ذلك قيام الإنسان بعمارة الأرض بالغرس والزرع والبناء والإصلاح وإحياء الموات والبعد عن كل فساد وإخلال. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

وأسهب فضيلته في الحديث عن ركائز المحافظة على البيئة في الشريعة الإسلامية، مثل الغرس والزرع، وإحياء الأرض الموات، والنظافة والتطهير، والمحافظة على الثروات الزراعية والحيوانية. كما أن الإسلام يربي المسلم على التعامل مع كل ما حوله في البيئة بإحسان. فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» رواه مسلم. والإحسان يعني: الإحكام والإتقان، والرفق والإشفاق والإكرام والحنان.

ومن الأحاديث التي تحث على الإحسان بالنبات قوله - صلى الله عليه وسلم - «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» رواه أبو داود. والنهي عن قطع السدرة ينسحب على أشجار البر والغابات لما فيها من نفع كبير للبيئة، فلا يجوز أن تقطع إلا بقدر وحساب، بحيث يغرس مكانها غيرها مما يقوم بوظيفتها.

بل إن الإسلام حثَّ على الإحسان للجماد كالماء. ويكون ذلك بتقدير قيمته وعدم الإسراف في استعماله بغير حاجة. وقد جاء أعرابي إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «هذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى

جانب من الحضور. ويلاحظ وجود معالي الدكتور محمد عبده يماني في يمين الصورة، وإلى جواره فضيلة مفتي لبنان



وظلم» رواه ابن ماجة وأبو داود، والنسائي مختصراً.

ومن أهم ما جاءت به التعاليم الإسلامية فيما يتعلق بالبيئة: حفظ التوازن البيئي والحيلولة دون اختلال هذا التوازن. فالاعتدال والتوسط مطلوب من الإنسان في أمور البيئة والحياة كلها فلا إفراط أو تفريط، لأن كل شيء في هذا العالم بقدر كما ذكر القرآن الكريم.

أزمة روح وقيم

وحول المنظور الإسلامي للجوانب البيئية في النظام العالمي الجديد دار بحث الدكتور السيد مصطفى المحقق الداماد (من أكاديمية العلوم في طهران)، وقد تناول فيه الجذور التاريخية والدينية للمشكلات البيئية، واستعرض المخاطر الجسيمة التي تهدد البشرية اليوم - في ظل العولمة - بسبب الاستغلال غير المنضبط للموارد الطبيعية في البيئة، والابتعاد عن القيم الدينية والأخلاقية.

وقدم الباحث خطوطاً عامة للرؤية الإسلامية بشأن التعامل مع البيئة والطبيعة ومواردهما، وما تزخران به من أحياء وثروات، مستنداً في ذلك إلى الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وفتاوى الفقهاء وأقوال حكماء المسلمين في هذا الصدد. وخلص من ذلك إلى أن الإسلام أولى اهتماماً خاصاً بالبيئة، وأن أحكامه تحرّم الإساءة إليها وهدر مواردها ومصادرها، وإثارة الفساد، وهلاك الحرث والنسل فيها، وأنه يدعو إلى احترامها وإضفاء نوع من القدسية عليها. ولهذا كان المسلمون الأوائل يعشقون الطبيعة لأنهم كانوا يعلمون أن مكوناتها تثني على الخالق ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]. ومن هذا المنطلق وجدنا شاعراً مثل سعدي الشيرازي يتغنى بحب الطبيعة فيقول: «إنني بهيج بالعالم لأنه بهيج بالله، وأعشق الوجود كله لأنه كله لله»، ووجدنا السلف يتعامل برحمة ورأفة مع الكائنات.

وفي ختام بحثه ذكّر الدكتور الداماد أن أزمة البيئة التي تواجهها البلدان النامية والمتقدمة في الوقت الحاضر هي في الأساس أزمة روح وقيم، وأن العيش في ظل بيئة سليمة يستلزم إحداث تغييرات أساسية في المقاييس والقيم الإنسانية، والابتعاد عن حالة الجشع والطمع وعدم الشعور بالمسؤولية.

تناقضات صارخة

أما بحث الدكتور كمال الدين حسن البتانوني، فكان يدور حول معالجة قضايا البيئة العالمية من منظور إسلامي. وفي هذا البحث ناقش المحاضر التناقضات الصارخة في العصر الراهن. فبينما يعاني العالم من تدنٍ في أحواله البيئية نجده قد انفق ما يزيد على ألف مليار دولار أمريكي في منتصف الثمانينيات لدعم الأنشطة العسكرية. واللافت للنظر أن الدول ذات الدخل المحدود تصرف مئات الملايين على التسلح كل عام، وهذا أكثر مما تصرفه هذه الدول على الصحة والتعليم مجتمعين، ويوضح هذا أن تكلفة التسليح في عشرة أيام في العالم كافية لإزالة الفقر من الكوكب الذي نعيش فيه.

وفي اللحظة التي نعيشها الآن يوجد ملايين الأطفال الجياع، الذين تقزمت أجسامهم وتشوشت عقولهم من سوءِ التغدية ونقص الرعاية الصحية. وأكثر من ثلاثة أرباع سكان العالم يعيش في البلدان النامية ولكنهم يحصلون على ١٦٪ فقط من دخل العالم. وبينما يعيش ما يعادل خُمس البشرية (في دول الشمال) معيشة رغدة تستنزف الموارد الطبيعية معتمدين على ٨٠٪ من موارد العالم فإن هناك خُمساً آخر (في دول الجنوب) غارقاً في الفقر والجوع والعوز، مما يؤدي إلى تلاشي معارفه البناءة وقدراته التكنولوجية واندثار كثير من حضارته وثقافته.

وردّ الدكتور البتانوني أسباب هذه «المصائب البيئية»، على حد تعبيره، إلى المفاهيم والقيم السائدة في الكثير من الدول المتقدمة، وهي مفاهيم تؤصل في النفس أهمية التقدم الاقتصادي والغنى المادي، وتجعل ذلك غاية في حد ذاته، وقد انعكس ذلك على سلوكيات الإنسان فراح يتصرف مع موارد البيئة وكأنها غير محدودة ويستهلك أكثر مما تمده به النظم البيئية، ويقذف بنفايات ومواد خطرة أكثر مما تتحمله هذه النظم.

ولعلاج هذه المشكلات، دعا الدكتور البتانوني إلى «العدالة البيئية» التي تعني صحة البيئة ونماء مكوناتها. وذكر أن من واجبنا كمسلمين - نؤمن بعالمية الإسلام - أن نضطلع بدورنا في الدعوة لحماية البيئة ومكافحة المخاطر البيئية، وأن ننقل إلى العالم الفكر الإسلامي

حثَّ الإسلام على الإحسان للجماد كالماء. ويكون ذلك بتقدير قيمته وعدم الإسراف في استعماله بغير حاجة

* * *

حفلت الشريعة الإسلامية بنصوص كثيرة تشكل معاً عدة تدابير وقائية للمحافظة على صحة الإنسان وبيئته



ثلاثة من الأعلام المشاركين في المنتدى، من اليمين إلى اليسار: فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، فضيلة الشيخ الدكتور نصر فريد واصل مفتي جمهورية مصر العربية، معالي الدكتور عبدالرحمن العوضي وزير الصحة الأسبق بدولة الكويت

الذي ينظم علاقة الإنسان بالبيئة ويضع القيود على إهدار الموارد الطبيعية، ويدعو إلى عدم استغلالها بما يتجاوز قدراتها على التجدد والنماء أو القيام بأنشطة من شأنها الإضرار بالموارد والبيئة.

التدابير الوقائية للحفاظ على الصحة العامة والبيئة

دارت محاور البحث الخامس حول (تبني المبادئ الإسلامية في المحافظة على صحة الإنسان وبيئته)، ويرى صاحب هذا البحث، الدكتور محمد هيثم الخياط، أن للبيئة أثراً عظيماً في الصحة، ومعرفتنا لهذا الأثر يشكل خطوة مهمة نحو وقاية الصحة من خلال حماية البيئة.

وقد حفلت الشريعة الإسلامية بنصوص كثيرة تشكل معاً عدة تدابير وقائية للمحافظة على صحة الإنسان وبيئته.

يقول الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم،: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم» رواه الطبراني.

وهذا يمثل التدبير الوقائي الأول وهو عدم تلويث البيئة بما يؤذي الناس، ابتداءً بالأماكن المحصورة التي يمكث فيها عدد محدود من الناس، ومروراً ببيئة الجوار حيث يحرم على صاحب المصنع أن يسكب نفايات مصنعه في المياه المشتركة بين الناس، أو ينفث أدخنة مصنعه دون ترشيح أو فصل فيُلَوِّث جو المدينة وهواءها الذي يتنفسه الناس، وانتهاء بالبيئة العالمية الواسعة التي تضر بها - على سبيل المثال - الغازات المسببة لارتفاع درجة الحرارة في العالم.

أما التدبير الوقائي الثاني فهو عدم استنفاد العناصر الضرورية للحفاظ على سلامة البيئة. فقد نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، مثلاً عن الإسراف في استعمال الماء حتى في التنظيف والتطهير، وضرب بنفسه المثل لذلك، فقد «كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد» رواه أبو داود وابن ماجة. والمد أقل من نصف لتر، والصاع أقل من لترين. والتدبير الوقائي الثالث هو تنظيف البيئة، فيقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: «إماطة الأذى عن الطريق صدقة» رواه البخاري، ويقول أيضاً: «نظفوا أفنيتكم» رواه الترمذي.

وفي ختام بحثه دعا الدكتور الخياط إلى استثمار فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجال الحفاظ على البيئة وحمايتها من الفساد. كما دعا أولي الأمر إلى تشجيع كل مبادرة تهدف إلى إصلاح البيئة وتحد من إفسادها.

التنمية المستدامة

وكان البحث السادس والأخير الذي قُدم في المنتدى عن (التربية الإسلامية ودورها في تنمية

الجوانب الاجتماعية لغرس مفاهيم التربية المستدامة من منظور إسلامي) للدكتور محمد السيد جميل. وقد عرّف التنمية المستدامة من وجهة النظر الإسلامية بأنها: «عملية متعددة الأبعاد تعمل على التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من جهة، والبُعد البيئي من جهة أخرى، وتهدف إلى الاستغلال الأمثل للموارد والأنشطة البشرية القائمة عليها من منظور إسلامي يؤكد أن الإنسان مستخلف في الأرض له حق الانتفاع بمواردها دون حق ملكيتها، ويلتزم في تنميتها بأحكام القرآن والسنة النبوية الشريفة، على أن يراعى في عملية التنمية الاستجابة لحاجات الحاضر دون إهدار حق الأجيال اللاحقة، ووصولاً إلى الارتقاء بالجوانب الكمية والنوعية للمادة والبشر».

وقد اعتبر الباحث مفاهيم التنمية المستدامة جزءاً من مفاهيم التربية البيئية بصفة عامة، وليس شيئاً منفصلاً عنها، ذلك أن مفهوم التنمية المستدامة ظهر نتيجة لإهدار الإنسان لموارد بيئته، والخوف من نضوب هذه الموارد وضرورة المحافظة عليها لتستفيد منها الأجيال الحاضرة واللاحقة.

وفي ختام بحثه أوصى الدكتور جميل بإدماج مفاهيم التنمية المستدامة في المناهج الدراسية وتعظيم دور التربية في هذا المجال، لا سيما وأن استراتيجيات العولمة لا تضع بين أولوياتها نظم ومعايير الحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية، فكل ما يهمها هو إغراق الأسواق بالمنتجات الاستهلاكية وإزالة العراقيل التي تحول دون ذلك، وهو الأمر الذي يشكل اعتداء لا أخلاقياً على حقوق الأجيال القادمة والشعوب المستضعفة والفقيرة.

التوصيات والمقترحات

في الجلسة الختامية للمنتدى التي عقدت في مساء الأربعاء ٢٨ رجب ١٤٢١ هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٠م، نوقشت التوصيات التي صدرت عن المشاركين في المنتدى، والتي كان من أهمها ما يلي:

- التوصية بعقد هذا المنتدى بصورة دورية لمناقشة ما يستجد من قضايا البيئة، وبحث الحلول المناسبة والمتوائمة مع روح الإسلام وقيمه وتشريعاته.
- حث الجامعات ومراكز البحث العلمي في دول العالم الإسلامي على الاهتمام بالبحوث والدراسات الخاصة بالقضايا البيئية، وتشجيع الدراسات العليا في الموضوعات التي تربط البيئة بالدين وقواعده.
- التأكيد في كافة المناهج الدراسية بصفة عامة، والتربية الإسلامية بصفة خاصة، على أن حماية البيئة في الإسلام ترتبط بالجانب الروحي وأن الإنسان خليفة الله في الأرض، ومقتضى الخلافة أن يعمل الإنسان على إعمار الأرض وترقية الحياة بها وفق منهج الله، وعلى أساس من العلم والعدل، ومن هنا يصبح إعمار الأرض نوعاً من العبادة.



حرص الإسلام في كل تشريعاته على المحافظة على التوازن الطبيعي في البيئة

- دعوة الجامعات والهيئات المختصة بحماية البيئة إلى التركيز على قضايا البيئة التي تعاني منها أغلب الدول الإسلامية مثل قضايا التصحر وندرة المياه والفقر.
- الاهتمام بالتربية البيئية في العالم الإسلامي، وتفعيل دور المسجد في التوعية البيئية، وتزويد وسائل الإعلام بالرؤى الإسلامية لمشكلات البيئة وحلولها، ونشر المعلومات والقواعد الشرعية المرتبطة بفقه المعاملات.
- تبني قضية العدالة البيئية من منطلق قاعدة العدل والإحسان التي يقوم عليها التشريع الإسلامي ودمجها في التعليم الديني. ■

من واجبنا كمسلمين أن نضطلع بدورنا في الدعوة لحماية البيئة ومكافحة المخاطر البيئية، وأن ننقل إلى العالم الفكر الإسلامي الذي ينظم علاقة الإنسان بالبيئة ويضع القيود على إهدار الموارد الطبيعية

* صور الموضوع: أرامكو السعودية

الأسماء المستعارة بين التخفي والحقيقة

عبداللطيف الأرناؤوط*

متى يغدو الاسم المستعار بديلاً عن الاسم الحقيقي..؟ أسئلة تراود أذهاننا دائماً، ونحن نلاحظ أن أعظم شعراء التراث العربي والإسلامي يُعرفون بألقابهم وكناهم كالفرزدق والبحتري والمتنبي وتأبط شراً والمهلهل، ومن أدباء العصر الحديث هناك بنت الشاطئ وباحثة البادية وشاعر النيل وأمير الشعراء والشاعر المدني والشاعر القروي وغيرهم.

يبدو أن الدوافع الكامنة وراء اتخاذ الأدباء الأسماء المستعارة ستارا لهويتهم قد يكون بدافع التواضع أو المصلحة المادية، فقد يكتب الأديب تحت عدة أسماء مستعارة لتتخذ كتاباته سبيلاً سريعاً للنشر، إذ يتعذر وضع أكثر من عمل لكاتب واحد في صحيفة أو مجلة. وقد يكون مشهوراً أو عالماً فتحول مرتبته الاجتماعية دون أن يفصح عن نفسه في ممارسة هواية أدبية ما

والاسم المستعار لا يختلف عن اللقب أو الكُنية[1] مع فارق هو أن الأديب نفسه هو الذي يختار لنفسه اسماً مستعاراً قد يكون لقباً أو كنية أو يُختار له الاسم المستعار، فيعتمده في نشر بعض نتاجه أو كله، وقد يشتهر به في الوسط الأدبي، فيغلب على اسمه الحقيقي كالبدوي الملثم (الاسم المستعار الذي اختاره الأديب يعقوب العويدات) فقد نشر بهذا الاسم أكثر نتاجه حتى غلب عليه، وبدوي الجبل الاسم المستعار للشاعر محمد سليمان الأحمد.

أما اللقب فأمره مختلف، إذ لا حيلة للأديب فيه، وإنما هو من ابتداع المجتمع، والألقاب متنوعة منها ما يرتد إلى عيب عضوي في صاحبها كالبحتري نسبة إلى (بحتر) وهي صفة القصَر، والجاحظ نسبة إلى جحوظ عينيه. وقد يرد اللقب إلى مسقط رأس الأديب أو المفكر كالفارابي والبوصيري اللذين نسبا إلى بلديهما. كما قد يرتبط اللقب بحرفة الأديب كالرفاء والزجَّاج أو بقول قاله فاشتهر به، أو بظاهرة برزت في أدبه كابن قيس الرقيات إذ لقب بالرقيات لتغزله بعدد من النساء تسمى كل منهن «رقية»، والشاعر كثير عزة وجميل بثينة نسبة إلى تشبيب الأول بعزة والثاني ببثينة.

وارتبط في عصرنا لقب الأديب بموضوع أدبه، فالشاعر حافظ إبراهيم «شاعر النيل» والشاعر خليل مطران «شاعر القطرين» هما لقبان انتزعهما الدارسون من خصائص الشاعرين. وهناك أيضاً لقب أمير الشعراء لأحمد شوقي، وشاعر الطيارة لقباً لفوزي المعلوف..

وإذا كانت هذه الألقاب والكنى غلبت على أسماء الشعراء والأدباء في التراث العربي القديم، فإنها في عصرنا قد ضعفت، فنادراً ما يطغى اليوم اللقب على الاسم الحقيقي، إلا إذا اختار صاحب اللقب لقبه بنفسه، وظل يصدر نتاجه باسمه المستعار، كالشاعر الأخطل الصغير «بشارة الخوري» وندر استخدام الكنى في العصر الحاضر.

لقد عني علماء اللغة والأدب في التراث العربي الإسلامي بالألقاب، وتتبعوا هذه الظاهرة من خلال وضعهم لعدد من المعاجم تناولت ألقاب الشعراء منها: ألقاب الشعراء للكلبي (ت ٢٥٥هـ) وكتاب: «من قال شعراً فسمي به» لمحمد بن عثمان الزيادي (ت ٢٤٣هـ). و«ألقاب الشعراء من عُرف بالكنية .. ومن عُرف منهم بالاسم» لأحمد ابن طيفور (ت ٢٤٥هـ). وكتاب: «من قال بيتاً فلقب به» للحسن بن الحسين الشكري (ت ٣٠٨ هـ). و«معجم ألقاب الشعراء» للحرزباني (ت ٢٧٥ هـ)، وهو معجم مشهور. كما خص الثعالبي (٤٢٧ هـ) باباً في كتابه «لطائف المعارف» بألقاب الشعراء الذين لقبوا بأشعارهم. ومثله السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه «المزهر في علوم اللغة».

وفي العصر الحديث، كتب عن ظاهرة «ألقاب الشعراء من أقوالهم» جرجي زيدان، وألف العاني «سامي مكي» معجم ألقاب الشعراء، وفصّل في شرح دوافع وأسباب بروز ظاهرة الألقاب في التراث العربي الفكري، ويأتي «معجم الأسماء المستعارة» لا سيما في الأدب الحديث، للباحث «يوسف أسعد داغر» تتويجاً لما سبق، فقد استفاد من المعاجم السابقة وأضاف إلى ما ورد فيها الأسماء المستعارة للأدباء في العصر الحديث.

والباحث يوسف داغر مختص بالتراجم (البيبليوغرافيا) وهو صاحب كتاب «مصادر الدراسة الأدبية» ويضم ١٥٠٠ ترجمة أو سيرة علمية للأدباء الراحلين في العصر الحديث منذ عام ١٨٠٠م.

ومما يذكر أن هذا الباحث بدأ منذ خمسين سنة بجمع ما ظهر من الأسماء المستعارة للأدباء قديمهم وحديثهم بلا تفريق بين اللقب أو الكنية أو الاسم المستعار، وفهرسه على الترتيب الألفبائي متخذاً من الاسم المستعار مادة للفهرسة، أما الاسم الحقيقي فيرد في بيان دلالة هذا الاسم، مع ذكر للأعمال الفكرية أو الأدبية التي استخدم فيها، ولقد بذل جهداً كبيراً في تجلية الأسماء المستعارة ومعرفة أصحابها الحقيقيين بالرجوع إلى مصادر عدة منها الاتصال بدور النشر والصحف وبالأدباء أنفسهم لأخذ بيانات منهم عن الأسماء المستعارة التي استخدموها ومواطن استخدامها، فسدّ معجمه الحاجة إلى توثيق مهم يحدد هوية مستخدمي الأسماء المستعارة ونتاجهم.

وفي حالات خاصة غلب اسم المستعار على اسم صاحبه، لاسيما إذا ظل الأديب مصراً على استخدامه في نتاجه، فالباحث عدنان ابن ذريل الناقد السوري لا يعرف إلا بهذا الاسم المستعار



شاعر النيل لقب لحافظ إبراهيم

---

* أديب وكاتب من سوريا.

(١) تجدر الإشارة إلى أن مفهوم اللقب في عصرنا الحالي حل محل مفهوم الكنية وبالعكس.

واسمه الحقيقي هو «عدنان الذهبي». وكذلك الباحثة «بنت الشاطئ» وهي «عائشة عبدالرحمن». ويبدو أن الدوافع الكامنة وراء اتخاذ الأدباء الأسماء المستعارة ستارا لهويتهم قد يكون بدافع التواضع أو المصلحة المادية، فقد يكتب الأديب تحت عدة أسماء مستعارة لتتخذ كتاباته سبيلاً سريعاً للنشر، إذ يتعذر وضع أكثر من عمل لكاتب واحد في صحيفة أو مجلة. وقد يكون مشهوراً أو عالماً فتحول مرتبته الاجتماعية دون أن يفصح عن نفسه في ممارسة هواية أدبية ما، كأن يكون سياسياً بارزاً وشاعراً، فلا يحب أن يعرفه الناس شاعراً، أو يتهيب ذلك خشية أن يعدّه الناس متطفلاً في هذا المجال.

وقد يكون اسم الكاتب أو شهرته باعثاً على الاستهجان فيختار لنفسه اسماً مستعاراً. ويمكن أن يُضاف إلى هذه البواعث الخوف من نتائج عمله الأدبي، كأن يكون نقداً لشاعر أو كاتب مفكر. فيحرص الناقد على إخفاء هويته والتستر باسم مستعار، وربما كان الفكر الذي يقدمه من النوع الذي قد يعرضه لمتاعب ومضايقات فيؤثر تعمية هويته الحقيقية. لذلك نلاحظ أن أكثر الأعمال النقدية أو السياسية توقع بأسماء مستعارة، من ذلك بعض مقالات سبق أن نشرتها باسم مستعار هو «ابن كوسوفا» أو «ابن الشفق»، وواضح أن الدافع هو تجنب ما يمكن أن أقع فيه من متاعب لو عُرف اسمي الحقيقي.

وثمة دوافع أخرى لظاهرة التخفي بالأسماء المستعارة منها رغبة الأديب في أن يعيش بعيداً عن الأضواء فالشهرة لها ثمنها، أو إحساسه بأن أعماله لاتستحق أن تقترن باسمه الصريح فهو غير واثق بإبداعه، ولذلك يؤثر أن يكون ما ينشره محاولة تجريبية لا يعلن عن صلتها به إلا إذا نجح واشتهر، وبعض الأدباء يتخذون اسماء مستعارة طريفة على سبيل التظرف وجذب نظر القراء.

والمرأة كما يبدو أكثر احتفاء بالأسماء المستعارة، لأسباب اجتماعية. وقد شاعت توقيعات الأديبات بأسماء مستعارة.. مثلا: بيروتية (ماري عطاالله)، وبنت الهدى (آمنة حيدر الصدر) وبنفسجة طرابلس (فوتين كرم سيوفي)، ونرجسة الكورة (مريانا فاخوري)، وباحثة البادية (ملك حفني ناصيف)، وغيرهن. وتبدو الأسماء المستعارة للمرأة أكثر شيوعاً في عالم الطرب والغناء والفن.. مثل أم كلثوم لقب المطربة المشهورة (فاطمة إبراهيم). ومن الواضح أن شيوع اللقب الفني في مجال الطرب والغناء والرقص والتمثيل يعكس موقف المجتمع المحافظ من هذه الفنون، وتحرّج المرأة من مزاولتها باسمها الحقيقي.

ولا ريب أن تخليد المبدعين من هؤلاء الأدباء والفنانين من الجنسين سيتم باختيار الاسم الذي غلب عليه حقيقياً كان أم مستعاراً. شأن اسمي: جرير والفرزدق، فالأول حقيقي للشاعر جرير بن عطية، والثاني لقب مستعار عُرف به، إلا أن الإشكالية تنشأ من استخدام العاملين في أي مجال فني لعدد من الأسماء المستعارة التي قد تأتي مطابقة لأسماء مستعارة مماثلة اتخذها سواهم، فتضيع نسبة الأثر لصاحبه الحقيقي، خاصة إذا استعير الاسم من التراث، ولذلك جرى التفريق بين الشاعر «الأخطل التغلبي» والشاعر «بشارة الخوري» بإضافة كلمة «الصغير» إلى لقب هذا الأخير.

وقد حدثني الشاعر الصديق سليمان العيسى، أنه ظل مدة من الزمن في مطلع الشباب ينشر قصائده في الصحف والمجلات العربية باسم مستعار هو «فتى وائل» وأخبرني أنه اختار هذا اللقب حباً بالتراث وتمسكاً بالأصالة.

وفي اعتقادي أنه لا ضير من أن يستخدم المبدع اسماً مستعاراً إذا كان ذلك الاستخدام ينقذه من حرج أو مضايقة، وإذا كان في استخدامه مصلحة للأدب، كأن تكون التعمية بهدف تقديم نقد صريح وموضوعي للنتاج الفكري أو السياسي. ومن الضروري أن تتولى مؤسسة ثقافية أو أدبية توثيق هذه الأعمال وردّها إلى مؤلفيها الحقيقيين، إذ ليس هناك ما يضمن عدم ضياع هوية الكاتب مع الزمن، وفي ذلك تفوت الفرصة للحصول على توثيق سليم لأعمال كل أديب إذا كانت منشورة بتوقيعات مستعارة.

صحيح أن ما يهم القارئ هو المادة الأدبية بغض النظر عن هوية صاحبها، لكن ما يهم تاريخ الأدب والدراسات الأدبية أن يتوافر لها مراجع ومصادر دقيقة عن ببيلوغرافيا النتاج الأدبي والفني. وقد لا تتاح الفرصة في كل مرحلة زمنية لظهور معنيين بهذه الظاهرة يمتلكون الجلد والمثابرة والصبر للمتابعة والبحث المستمر، خاصة بعد اتساع آفاق النشر والإبداع وتعدد أنواعه المسموعة والمطبوعة. لقد شغلت ظاهرة الأسماء المستعارة اهتمام الناس منذ القدم، وهي ظاهرة موجودة كذلك في الآداب الأجنبية، مثل (موليير وفولتير) في الأدب الفرنسي، وما تزال إلى اليوم تثار في الصحف والمجلات ووسائل الإعلام. ويعتقد كثير من النقاد إن الحوار حول موضوع الأسماء المستعارة سيعزز الدعوة إلى مزيد من الحرية وكسر القيود المفروضة على الفكر والمفكرين والإبداع والمبدعين مهما كان جنسهم أو لونهم، وتذليل العقبات التي تحول دون أن يقدموا أنفسهم للناس بشجاعة وصراحة بلا مواربة ولا خوف. ■

موليير
اسم مستعار
لجان باديست بوكلان

فولتير
اسم مستعار
لفرانسوا ماري أرويه

قد يرتبط اللقب بحرفة الأديب كالرفاء والزجّاج أو بقول قاله فاشتهر به، أو بظاهرة برزت في أدبه كابن قيس الرقيات إذ لقب بالرقيات لتغزله بعدد من النساء تسمى كل منهن «رقية»

مراجع البحث

١ - معجم الأسماء المستعارة وأصحابها - للباحث: يوسف أسعد داغر.
٢ - الأسماء المستعارة - للكاتب الإنكليزي: هنري كوستون.
٣ - ألقاب الشعراء من أقوالهم - للكاتب: جرجي زيدان - مجلة الهلال. م (١٤).

تكرار «كلما» في جملة مفيدة واحدة

بقلم: إبراهيم نويري

هناك أخطاء كثيرة في استعمال بعض التراكيب اللغوية ماتزال تجري على ألسنة بعض الكُتّاب والمذيعين والصّحافيين والخطباء، وغيرهم من المتكلمين بلغة الضاد الجميلة.. ومن ذلك على سبيل المثال: تكرار كلمة «كُلما» في جملة مفيدة واحدة، وهو استعمال غير مُسلَّم به، لمخالفته كلام العرب الصحيح المأثور.. وذلك نحو قولهم مثلاً:

كلما زادَ دَخْلُ الفردِ كُلما ارتفع مستوى العيش.

فالملاحظ - من الناحية اللغوية - أن كلمة «كُلما» الثانية زائدة؛ حتى لو قَصَدَ بها المتكلم المعنى الذي يريده، لأن المعنى يكون في ذهن المتلقي أو السامع واضحاً دون تكرار كلمة «كُلما» في الشطر الثاني من الجملة.

ولما كان كلام الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز هو أبلغ كلام عربي تستند عليه العرب - إلى جانب كلامهم المأثور قبل التنزيل - فإنه تعالى لم يكرّر في كلامه المعجز كلمة «كُلما» كما في قوله جلَّ وعلا: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَت جلودهم بَدَّلْنَاهُمْ جلودًا غيرها لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ .. ﴾ [النساء: ٥٦] وكذا في قوله: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا .. ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقد تواتر هذا الاستعمال القرآني في مواضع أخرى كثيرة في كتاب الله تعالى دون تكرار كلمة «كُلما» في الشطر الثاني من الجملة التي بُدئت بها.